



ولابد أن يفسار حوا في هذا الاجتماع على اليازي، التي  
سيضمونها لبناء العالم الجديد، والسياسة التي سيطالبون  
بها أم الأرض.

ففي هذا الاجتماع المطيع سيقدر مصير العالم في فترة  
من الزمان تطول أو تقصر، بقدر ما في قراراته من عدل  
أو حيف، وما يسودها من بعد النظر، أو تأثير  
اللاعلا، الآلات الوقتية.

فكانت تبصر ماذا ينهال القدر لأمر الأرض، وهى  
ستشهد عاذا جديدا يسوده السلام والعدالة أو تشكرو  
الأساء، وتغلب الشهوات والمطامع، وتشهد بعد زمن  
قصير حرة تامة لا تقي ولا تدرك أن كمال الكائنات التي  
تعيش على ظهر هذا الكوكب تنطاع لمؤلاء الأقطاب  
ولأن الله أن يحياهم أبطال الإنسانية المفقدين، ويحيى  
السلام العالم، ورواد النظام العالمي السعيد.

الأسس الصحيحة التي يقوم عليها النظام بين الأمم، ولما  
لنرجو أن توفى لبنان جهود هذه اللجنة وقراراتها في عدد  
قريب من أعداد المراجعة.

### الاضطراب في سوريا ولبنان :

وبناء القدر أن يفتح عربون الشعوب العربية في نفس  
الوقت على ما يستحدثون له من أخطار توجب ازدياد  
تضامهم، وتكاتفهم، فقد بدأ من تصرف فرنسا حبال  
سوريا ولبنان ما دل على تنكها في شعبه جهودها،  
وتكثفها بسلطانها على أمور الجبتي فيها، وهو نشيت  
يتلقى مع استقلالها الذي اعترفت به كبريات الدول -  
ولذا كان هذا شأن فرنسا مع ما هي فيه من موقف دول  
جبر بأن يشعلها بأمر عنها، ويصرفها عن الطماع  
الجارية، فكيف يكون الحال مع غيرها ؟

### وقلطين أيضا :

كيف يكون الحال في مواجهة مصير تلك الكبرياء  
التي تتداعى على الأمم، وإلى يواجه بها الغرب مؤامراته  
شاعص حقوقيه وحسومة طارئة لهم من كثير من التواضع  
إن اجتماع كفة الشعوب العربية، وتوجد جهودها  
هو السلاح الوحيد الذي استطاع أن تدافع به عن كيانها  
وتعود من حياتها.

### اجتماع الأقطاب الثموز :

جاءت الأساء، اقرب اجتماع الأقطاب الثلاثة :  
سائين وكترشلى وروزلت، إلى الرابع أن هذا الاجتماع  
قد حدث بالفعل في مكان يتكلمون ذكره - واجتماع  
هؤلاء الأقطاب عقب الاصدارات الأخيرة التي أخرجها  
الروس، وبعد تولعهم في ألمانيا، وكرب تهديدهم لأممها  
بدل عن أنهم سيقابلون تحديدهم موقفهم من البداية التي  
توشك أن تهرم، وتقرر ماسعولة عليها من شروط.

بشكل لجاء وتكون مكتبته - وتدل الطواهر على أن  
المعارضة القوية ستكون في مجلس الشيوخ، وإن كنا  
نرجو أن تكون معارضة عادلة وزيعة ناعمة. ويبدو أن  
المرحلة الحالية ستكون حول دستورية بعض القوانين التي  
أصدرتها الحكومة المافسة، وأخصها ما يتعلق منها  
بالاتصالات.

وبماسبة الحديث من الزمان، يتبادل البعض : لماذا  
لا تعمل الحكومة على إشاعة الحياة النيابية في البلاد  
بتقوية المجلس البلدي، والمجالس القروية، ومجالس  
المدريات، وتوسيع اختصاصاتها، والتنازل من جزء من  
السلطة المركزية لهذه الهيئات المحلية إلى مثل هذا التفويض  
كفعل بحرية الشعب على الحياة النيابية، وتوسيعه  
الاستطلاع والفتون العامة والمساهمة في أحوال تكاثرها.

كل هذه ، وآلاف غيرها ، من تشاكل المظاهرة ، وتشاكل التي استطاع عليها مدانها الحرب خليفة أن تشغل رجال الحكومة وتقتل مضاميمهم ، وتشغول كل تفكيرهم قانا قمرنا عظم هذه الهمة للقاء على موافقهم ، كان واجبنا علينا أن ندادهم أجل مداهمة ، وأن لا نزيد أعباءهم بها لنقل به أعباءهم من المسائل الصغيرة ، ونشغل به أوقاتهم من الأمور النافذة

ليس من العدل ، ولا من الصلحة ، أن يشغل أبواب الوزراء كل من له مطلب صغير أو مسألة عامة ، يمكن أن تحل بالطرق العادية ، يشغل الوزير ويضيع جزءا من وقته للترقب بالأعباء بهذه الجزئيات ، مما كانت صالحة بهذا الوزير ودائه عليه .

الأسس من الوطنية ألا تشكر الجماعات إلا في مطالبها العامة الصغيرة ، وتقتل من أجلها الشعب وتشغل بها الحكومة أساسيات الأمان والرخاء للكل .

في هذا الموضوع ، أحب الحكومة أن تأخذ هذه الأمور الصغيرة ، وتقتل على كل هذه المشاغل الصغيرة تلك سياسة استرضاء الجماعات ، وبمثل الزعماء وغيره ، فالسبب أن تخلص لهذه الشكايات مكتبا خاصا يدرسها باسلا ويضع الاقتراحات العملية لأعضاء كل ذي مصلحة .

ومن شأن هذا النظام أن يدرب الناجحين على حسن استخدام أسرارهم ، وسماحة مجتهديهم الفهين من كتب ، كأنه سيحلل إرار الشكايات البالية فيمن يتحقق فيكون ذلك تمهيدا حسنا للتقدم لعضوية البرلمان . وفيه عدا ذلك زيادة في الأعباء بالمشغول العامة لكل القابع ، وتقليل من الأعباء التي تتحملها الحكومة والسائق الصغيرة التي تشغل وقت البرلمان .

إن الحكومة ، في يدو ، بقدرة ببناء الحكومة ، خليفة أن تصمها في طليعة المسائل التي تشغل بها

### زبداء أعباء الحكومة :

ويشوقنا الحديث عن الحكومة إلى نقل الأعباء العامة على كامل الحكومة ، ومثل الشكايات التي تصطبغ بها وأعباء الحكومة في الظروف العادية كثيرة تحت كفاية عالية ومحملا مترصلا ، وصحة فائقة . تشكل والظروف التي تواجهها الحكومة ، وطول مدة تشاكل والمسائل النافذة التي يطلب إليها معالجة ، وتشاكل معقدة شائكة ؟

فشا كل النوق وعدالة توزيعه على أفراد الشعب ، ومعالجة السوق السوداء ، والدلاء الصلح ، وتوزيع المواد الضرورية للبلاد واستيرادها من الخارج .

ومشا كل الطوائف المختلفة ، ومطالبها الصغيرة ، والذين بين ما أخذ من قرارات الاندفاع ومقتضيات العدالة التامة التي لم يصغوا .

ومشكلة اللزامة واضحا ، ومصر وقضايا الكثيرة التي ربطت على إرادات غير ثابتة ، والاستعداد لأكثر تلك في المستقبل .

ومشا كل المرض والجمل والفقراء التي تنجر في نظام عواد الشعب ، ووضع الخطط القوية البعيدة المدى لمكافئها ، وتنظيم الحياة الاقتصادية في البلاد ، والانداس الانتاج ، ومشاكل السياسة الكبرى ، وتحديد مركزها الدولي على أساس يحقق أمانيها ويحقق عزتها القومية .





## منطق العقل ومنطق الدنيا

من الأسماء الشعبية المصرية أن رجلاً تزوج اثنين  
فأما «أم السعد» فتاة ثوب على حظ قليل من الجلال وعلى  
حظ كبير من الرخ والتفتة وطلب القول والدعاء والسكر .  
وأما «أم حسن» فتاة على حظ كبير من الجلال وقليل  
من الخيلة ، طيبة القلب ، عفيفة النفس ، ماهرة الذيل .  
أراد زوجها السفر فأتخذ كل احتياطات نصبتها ، على  
طريقة العهد القديم ، فسر السبايل حتى لا تصح في  
فياها ، وتغن ماشاء في القيود والأغلال ، ووضع الأرماد  
على اليدين حتى لا يفر من يمينه ، ثم سافر مطمئناً .

فأما «أم السعد» فشكت القيود ، وسخرت بالأغلال ،  
واشتت على الأرماد . وخرجت وطردت ، وأما «أم حسن»  
فحفظت عهد زوجها ، وصانت عهد زوجها ، ولم تنزع  
من جنبها ، ولم تخرج من جنبها ، ولم تنزع في طلب  
أعمالها ، وكانت أمينة في كل شؤونها .

فقد كانت ثلة حضور الزوج تربت «أم السعد»  
وفهرجت ، وقلمت كل صنوف الإمراء والتفتة ، وأما  
«أم حسن» فاعتصمت على استقامتها ومهملتها ، فلم  
تبالغ في زينة ، ولم تُعسر في تحمل .

وحضر الزوج ، فهلت «أم السعد» لمحموده ،  
واصمت كل قنوب الفرح للقاء ، وفدت الأفعيل  
للإمراء ، وقابله «أم حسن» في هدوء وازان وحشمة  
وتبسات .

ثم أخذت الحديث ، فخرجت «أم السعد» وأخذت  
تصف كيف حافظت على عهد زوجها وأمانته ، وكيف كانت  
لا عام القيل شوق إليه ، وحينئذ قداه - ومن حين إلى  
آخر تنكح «أم حسن» كلمة أو كلمتين تليقاً على حديث  
أولها على سؤال .

وأخيراً نظر الزوج إلى أم السعد طويلاً ، ثم أدار  
ظهره إلى أم حسن طويلاً ، ثم أعلن أن لأم السعد كل  
ما أقر به من هدايا ، ولأم حسن الطلاق .

هكذا منطق العقل ومنطق الدنيا ، فتنطق العقل بتفضي  
بالسكاء ، للظاهرة المبهمة الجميلة ، ومنطق الدنيا قضى بها  
الدهرية البوب غير الجيلة .

منطق العقل يقضى بأن الإنسان يقوم بواجبه  
وكفاياته ، كمثل شيء في السلام ، فتحن تقوم الفرض  
سرعة لا إصره ، وكل شيء بالفرض منه لا يشكك .  
وعنى هذا فالإنسان يجب أن يقوم بكفاياته فيما أريد منه ،  
فإن أدته صانعاً يقومه بصناعته ، أو مالاً تقومه بصفه ،  
أو منصب من الشاغب قائم من يحق الفرض من  
الطعام . هذا في منطق العقل ، وأما في منطق الدنيا فانه

يقدر على قدر قليل غير ، ولمقاته قليل كفاياته ، وسلاخته  
الفر من منطق العقل مبني على التجرد من الاعتبارات ،  
ومنطق الدنيا مبني على تقدير الملاحظات . منطق العقل  
أساسه حقيقة الشيء ، بما فيه من نفع وغير ، فإن ربح  
بغيره محمل وإلا ترك . ومنطق الدنيا أساسه رضا فلان  
ورغب فلان ، ورويا فلان وانفاق فلان ، وبخل فلان ،  
وهكذا من اعتبارات لا حد لها .

منطق العقل مقدمة صفى ومقدمة كبرى ، وإن صحت  
فالنتيجة حتماً . ومنطق الدنيا قد تصدق فيه التقدعات  
ونكبت النتيجة ، وقد تكذب فيه التقدعات وتصدق  
النتيجة .

منطق العقل كجاءت في معمل بحرب وبعده التجارب ،  
فإذا أسفرت التجربة عن كون أمر قال إنه أمر ، أو أصغر  
قال إنه أصغر ، ولا شيء غير ذلك . وأما منطق الدنيا  
فمثل مثل على السرح يوماً ، أسكاً يوماً ، صلوياً ، يوماً  
فنياً ، يوماً فقيراً ، على حسب الظروف .

الحسوية منطق الدنيا ، والعقل منطق العقل ، وتقدر

وركت «البر» ، وجلست بين جماعة يتقدمون بأسيمة  
حداد حالة المواطنين والمواطنين ، وكل يشكو ويضرب  
الأمتة في وزارته مما حدثت من رقيبات ، هذا القزاة ، وهذا  
العصاهرة ، وهذا الحلق ، وهذا الهبات ، وهذا التفيل  
اليد ، وهذا التصالح الشخصية

فقلت إن هذا يوم حرب تتابع كل جوانبه للتشيل  
لمنطق العقل ومنطق الدنيا

ورجعت هذا كرتي ال أقاصيص حقا ، وما في كتب  
الأدب من أقوال عقلاء الحائين ، فوجدت كثيرا منها يجب  
الناس لأنها تصور الفرق بين منطق العقل ومنطق الدنيا .  
والناس يسجون بالشكوى ، لأنهم لم يفهموا الفرق  
بين منطق العقل ومنطق الدنيا ، وأرادوا أن يحضروا  
الدنيا لمنطق العقل فمشوا

والشراء والأرد ، رأوا أنهم لم يكفاهم أسنى مخبرات  
لنفسهم من كل من يداهم من الحق والتفيل ، وهذا منطق  
العقل ، وما أرادوا أن الدنيا في يد أهل الناس كفاية ، وأنهم

مخربون على كل قرودات الحياة ، على حين أن العقلاء  
يلفون في التميم ، وهذا منطق الدنيا . وأطول ألسنتهم  
أقلاما حربا شعواء ، على الناس . وقالوا آلاف الأبيات في  
شكوى الزمان وأنه مفعل بخذل التفيل ، وبسطه العقلاء  
والأدياء ، وأنه لا عقل له ولا منطق له ، وجردوا منه شخصا  
وجها إليه أفطن السب وأفزع الهجا ، وما جدوا أن الدنيا  
منطقا تخضع له غير متعلقهم ، وأسلوا بتيمة غير أسلوبيهم  
وأكثر ما يظهر منطق الدنيا في السياسة ، فقد أراد

التمسكة من عهد أفلاطون وأرسطو أن يخضعوا لمنطق  
السياسة لمنطق العقل ، فوضع أفلاطون جمهورته ، وأرسطو  
كتابه في السياسة ، والفارابي مدينته الفاضلة ، وهكذا  
تتابع الفلاسفة يرسون المنطق الأعلى للحكومة وللسياسة ،  
يريدون أن يخضعوا لكل شيء في الدولة لمنطق العقل ،  
والسياسة دائما تنمرو عليهم ، وتأتي إلا أن تخضع لمنطق

الأشكال لمنطق الدنيا ، وتقدير القيمة الذاتية لمنطق العقل .

\*\*\*

الأمس حضرت مجلسا دار الحديث فيه حول رسم  
الصحف ، قال قوم : إن من الواجب أن يرسم الصحف  
حسب قواعد الإملاء العروقة ، حتى يستطيع الناس  
أن يقرأوا ، والرجل التفت العادي أن يقرأ . كما يقرأ لكل  
كتاب . أما الرسم الحالي فلا يمكن القاري . من أن يقرأ  
إلا إذا كان حافظا أو متخصصا ، فكيف يستطيع الناس .  
أن يقرأ الصلاة إذا رحت هكذا «المدونة» وغيره أن  
يُسَرِّق قراءة القرآن على الناس عامة من أن تحصر قراءة في  
وائرة قليلة . أما رسم الصحف الحالي فيكون للأغلبية  
وعن ويرون أن يترسوا تاريخ الإملاء . وإنما غسد تعليم  
الناس ، إذا نحن عدناه الإملاء على طريقتنا ثم وضنا في يد  
الصحف فرأى طريقة لم بألفها . وقال قوم لابد من المحافظة  
على رسم عتبات حفظ الآثار السلف الصالح وعمل بالأنوار  
وربطا بين قدينا وحديثنا ، فقلت وفي المنطق المنطوق على  
منطق العقل ومنطق الدنيا

وشاء التقدير أن أحضر مجلسا آخر حيث فيه المناظرة  
حول معنى اللغة العربية . فقال قالون : أمن الحق أن يتوزع  
تعليم اللغة العربية - دون سائر المواد - ثلاثة معاهد ككلية  
اللغة العربية في الأزهر ، ودار العلوم ، وقسم اللغة العربية  
في كلية الآداب ، وكل يسلك منهجا بخلاف الآخر حتى  
إذا أقعوا دراساتهم كانت حرب شعواء على الوظائف  
أنيس من الخير ألا يسكنوا في البلد إلا معهد واحد يختار  
له خير الشايع وغير الأساليب ، كما هو الشأن في كل المواد ؟  
وقالوا أيضا : إننا نعلم أن يكون في البلد مائة معهد للثقافة ،  
أما للصناعة ، ولصناعة التعليم ، فلا بد ألا يزيد إلتاج  
الصنيع عن حاجة البلد . وقال آخرون : إنها التقاليد ، وإنها  
السلطات ، وإنها المصليات

فخرجت من المجلس مفتكرا في منطق العقل ومنطق  
الدنيا .

ومع هذا عاين أن العالم سائر إلى التقدم في الاستزادة من منطق العقل ، والتفصيل من منطق الدنيا ، وعقبان تلك الأمم السبعة والأمم الراقية ، في الأمم السبعة منطق العقل يسبح في دائرة قطرها «سفر» ، ومنطق الدنيا يسبح في دائرة قطرها «متر» وفي الأمم الراقية تتكاد تتعادل الدائرتان ، أو تكون دائرة منطق العقل أوسع ، وليس محل الصالحين في الدنيا وإنما إلا أن يحاولوا توسيع دائرة منطق العقل بتضييق دائرة منطق الدنيا

أحمد أمين

## في مغن سبي الصوت سقيم الفن

« للشاعر الرواية أبو ستار أحمد الزين »

« وكان قد روى إلى مجامع في إحدى الليالي  
فترجم بشائعه نير ما شديداً ، وقال فيه : »

من السنين

يضيئ به التجلج أي يضيئ  
من قلب السنين ويضيئ

بها الشوق في قلب الشوق  
مضى الأوكار لو أنمت حياطلا

يُبسب بها على الجسد العتيق  
بطائنه - حاك الله - رطط

تكن صياهم جرس المريخ  
دعني لتساع دفسق كوز

قلك عرفت غصديك ياودي  
وكانت لبسة باليست أي

كومت بها لفتتاح الطيرين  
وأوسعتنا ممتشها فمدا

يزول السكر من كأمير الرمين  
جرى الله المني كل حسيب

عرفت به غدوى من صدق

الدنيا ، وكان هذا هو الشأن إلى أيامنا وقد وضع تمام العالم على أساس منطق العقل ، وما زال منطق الدنيا يحارب بأسلحته حتى هزمه شر هزيمة .

ورعنا كان « مكياقي » هو الشخص الذي فهم منطق الدنيا بعد أن حرب الطبيعة التوافقية ، ومنظر لأخته

عند التورك والأمرء ، وفادى بأن السياسة لا تشرع العقل والعقل والحقي ، وإنما هي ترمي طابع الدس وطروق

الزمن والسكان ، وقال إن السياسة يجب أن ترق الخير والشر ، ولكن لا بأس من أن تتحرف عن الخير تبعاً

الضرورة الظروف القائمة - وقرر بعض مبادئ منطق الدنيا ، فقال : « إن الناس امرع إلى الإساءة إلى من وضع

نفسه من قلوبهم موضع الحب ، مهم إلى من حمل نفسه خيرة مهيبة » وقال : « إن الأمير يجب أن يكون أسداً ،

ولكن ينبغي له أن يعلم كيف يلبس دور الثعلب » ، وهكذا أراد أن يشرح منطق الدنيا كما شرح أفلاطون وأرسطو منطق العقل ، ولكن سيجب أن

يستطاع أن يدون كل منطق الدنيا كما دونت في منطق العقل - إن الذي وضعه جزء بسيط من منطق

السياسة ، وما السياسة بتعال الدنيا كلها - لو كنت مكانه لوعيت قواعد منطق الدنيا في ملوك الإنسان

وفي كيف يقدر الإنسان الإنسان ، وكيف يعمل الإنسان إلى أغراضه مع أمثاله لطق العقل ، وكيف يفعل رجال

الحكم عشا مع منطق الدنيا ، وكيف تعقب التفاسيد والأوساع أمام منطق العقل لتصبح الطريق أمام منطق

الدنيا وهكذا ، ولجماته مائة فعل وجملة ما كتبه مكراني من السياسة فضلاً عما من فعلوه .

في كل شيء - يستطعم منطق العقل مع منطق الدنيا في الأمرة ، في الشاوع ، في الشعر ، في الصنع ، في

الوظيفة ، في الحياة الخاصة والعامة ، فدى العقل في الحياة والدنيا في الحياة ، وكلما كان الإنسان أرفع حساً وأكبر

نفساً ، وأرق عقلاً ، كانت صدمة الدنيا له أقرى وأشد









## الحركة الدستورية

اختفت مراكش في ١١ يناير بمرور السنة الأولى على مطالبة الشعب بالاستقلال وتنظيم الحياة العامة على أساس النظام الدستوري الملكي، ولا بد لنا هنا التبرع لما قبل به الفرنسيون هذه الحركة، وإذنا الذي ينبغي هو أن نتحدث إلى القراء الكرام عن مبدأ الحركة الدستورية في هذه البلاد، حتى يستطيعوا - وهم يهتفون بحركة الإصلاح في شمال أفريقيا - أن يدركوا بأصول البنية الشعبية في هذا الجزء من العالم المزي.

في سنة ١٨٩٤ توفي السلطان مولاي الحسن، آخر سلاطين مراكش الأقوياء، الذين عرفوا كيف يجمعون بين حرية الاستقلال بين عناصر السياسة الدولية وحفظ على العرش ابنه الذي عبد الله، والشعب المغربي في البلاد نتيجة ضعف السلطان الجديد، ومطامع الأوربيين، وتدخل الأجانب، ولولا الظروف الدولية لمقت مراكش في ذلك الحين.

وفي سنة ١٩٠٤ بدت السياسة الدولية تتغير بعد إعلان الاتفاق الذي بين إنجلترا وفرنسا، وهكذا بدأ بهار الأساس الذي يقوم عليه استقلال مراكش وهو البديل الدولي، فم تكد عمر ثلاث سنوات حتى وقعت الجيوش الفرنسية على مدينة (وجدة) في الشرق وأعلنتها في ٢٩ مارس سنة ١٩٠٧ ثم زلت جيوش فرنسية أخرى في مدينة (الدار البيضاء) في يوليو من السنة نفسها، وظهر بوضوح الصير المهتم الذي ينظر البلاد.

وقد شهدت البلاد بين هذين التاريخين، والمستويات القليلة التالية، حركة إصلاحية حاولت أن تنقذها من هذا الصير الرديع الذي ينظرها، ومما ساعد هذه الحركة

وشجعها أنها كانت معاصرة للحركة الإسلامية التي قامت في إمبراطورية آل عثمان، فقد كان زعموها يرون أن مراكش المستقلة أصابع ميدان أث الدعوة الإصلاحية، ويرى أن الشيخ محمد بن عبد الله كان على أهبة السفر إليها لولا أن صحت حالت دون ذلك.

ولقد كان عقد الحياة التي يرجع على أنسابها السلطان الجديد، يند برهاناً واسعاً الإصلاح. وإذني ينبغي أن نذكر هنا هو الحركة الدستورية التي كانت تؤتي ثمارها في ذلك العهد.

كانت البلاد تشكو من ضعف السلطان، واستبداد الوزراء، وفلاصص في الإصلاح، إذ من أن لا يثق بمقايير البلاد مدققة سلطان أو وزير، وإذنا تنقل إلى إرادة الشعب بواسطة نظم التولية.

ظهر هذا الأعتد بشكل واضح، وكثفت هذه المصحة، فشرحه ونصحه إليه، ومما كسبته جريدة (البيان) التي كانت تصدر في مدينة تطوان بعد سقوط السلطان في تطوان، وقد أن يدا واحدة لا تقدر على إصلاحها من هذه المقولة ولا على إصلاح إدارة كادارة حكومتها، ويجب أن تكون الأيدي للصرقة والقول المذكورة كثيرة، متكافة على العمل، وعليه، فلا نصاص ولا عهد جلالته من أن يجمع أئمة نعمة الدستور ومجلس النواب وإعطائها حرية البذل والفكر، والقوم بالإصلاح بالادها اقتداء بدول الدنيا الحاضرة، المدعمة والسيعة. وقد جاء في عقد البنية نفسه أن السلطان يلتزم بأن لا يبرم أي اتفاق مع الأجانب إلا بعد أخذ رأي الأمة فيه. يقول: «إذا عرض ما يوجب مقاومة مع الأجانب في أمور سلبية أو تجارية، فلا يبرم أمراً منها إلا بعد الصديق به الأمة حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا عوائلها ولا استقلال سلطانها».

وإذا فالبال الدستورية، والصحة وعريضة سواء في الرأي العام وما تكتبه الصحف، وكانت واضحة حتى في

وهي تطالب بها دون نجاح ، فاقام رجع ذلك إلى القاموف  
السياسية الشاذة التي أجبرت بها هذه البلاد .

قد أخفق السلطان الرحوم مولاي عبد الحفيظ في  
تنفيذ برنامج الإصلاح بسبب التدخل الأجنبي ، ووجد  
نفسه عاجزا عن المضي في سبيل إغاثة بلاده ، ودرعها على  
توقيع معاهدة الحماية مع فرنسا بعد أن احتلت جيوشها  
جبل كتة فجاءه دورها كان في الأخير يرجو أن يستعين بهذه  
المساعدة على تنفيذ مشروعه الداخلية إذا استطاعت  
الجمهورية الفرنسية أن تتحمل هذه أمهات السياسة الخارجية  
والثانية ، ولكن سرعان ما تبين له أن ما كان يرجوه إغا  
حو أمهات أخلام ، وأن الحقيقة السافرة هي أن بلاده  
لا تزال في حاجة إلى معهودات جارية لإصلاحها بعد أن  
تخلص طريقا جديدا في الحياة . وقد بدل كل مجهودات  
مع الفرنسيين على هذا الأساس ولكنه أخفق ، فآثر أن  
يخضع لفرنسا .

في أواخر سنة ١٩٠٨ كانت هذه الحالة قد برزت  
من إعدام مشروعه ، وهو يقضي بإشراك  
عليه اسم منتدبي الشورى تمثل فيه الأمة على أساس  
انتخابي . كما يقضي بأن يتألف هذا البرلمان من مجلسين ،  
أحدهما مجلس للتواب يسمى مجلس الأمة ومجلس الأمة فيه  
نواب من طبقات الفئات المختلفة ، والثاني مجلس للشيوخ ،  
ويطلق عليه اسم مجلس الأشراف ، يتألف أعضاء من  
طبقات الأعيان والنبلاء ، كما سمي إلى جانب ذلك مشروع  
قانون باسم القانون الأساسي ، وقانون آخر يتعلق  
بالنظام الداخلي للبرلمان (الاتحاد الداخلية) ، وآخر يتعلق  
بنظام الانتخاب .

وليس من شأننا في هذه المقالة أن نتحدث بالتفصيل  
عن هذا المشروع ، وإذ سمعنا أن نشر إلى أن الحركة  
الاستثنائية في مرا كس ليست حديثة العهد وإنما ترجع  
أسوها إلى نحو نصف قرن من الزمان . وليس من الجديد  
في شيء أن نسمع بأن هذه البلاد ما تزال تطالب إلى الآن  
بالحياة النيابية ، وإذا كانت قد مرت عليها خمسون سنة

المجاعات الرسمية ، فالمرم السلطان بأن لا تميز السياسة مرة  
أخرى جافع لفردي وإعطاء جديده ، هو رأى الأمة .  
والواقع أن كل شيء يدل على أن السلطان عبد الحفيظ  
كان يخلصا لهذا الإحباط الشديد ، وليس ذلك منه قربيا ، فقد  
كان دائما دائما واسعا بالسياسة المدنية ، وأحوال العصر  
الحضارية ، كما كان متفقا تماما عالية ، مكنته من أن  
يشاطر زعماء الإصلاح وأهم في الحياة النيابية .

لم يكد يتولى الأمر حتى شكل لجنة كلفها بدراسة  
النظام الانتخابي في مختلف البلاد ، واقتباس الصالح من هذه  
النظم لتطبيقه في مرا كس ، وقد واثق هذه اللجنة  
أعمالها مدة طويلة ثم استقر الرأى أولا على إلغاء الوصفي  
في الأحكام وذلك وضمن قانونا للمعوقات أسسه « قانون  
الجزالة لأن الحياة النيابية متوقعة قبل كل شيء ، على تحقيق  
السواة والعدل بين أفراد الشعب .

وفي أواخر سنة ١٩٠٨ كانت هذه الحالة قد برزت  
من إعدام مشروعه ، وهو يقضي بإشراك  
عليه اسم منتدبي الشورى تمثل فيه الأمة على أساس  
انتخابي . كما يقضي بأن يتألف هذا البرلمان من مجلسين ،  
أحدهما مجلس للتواب يسمى مجلس الأمة ومجلس الأمة فيه  
نواب من طبقات الفئات المختلفة ، والثاني مجلس للشيوخ ،  
ويطلق عليه اسم مجلس الأشراف ، يتألف أعضاء من  
طبقات الأعيان والنبلاء ، كما سمي إلى جانب ذلك مشروع  
قانون باسم القانون الأساسي ، وقانون آخر يتعلق  
بالنظام الداخلي للبرلمان (الاتحاد الداخلية) ، وآخر يتعلق  
بنظام الانتخاب .

وليس من شأننا في هذه المقالة أن نتحدث بالتفصيل  
عن هذا المشروع ، وإذ سمعنا أن نشر إلى أن الحركة  
الاستثنائية في مرا كس ليست حديثة العهد وإنما ترجع  
أسوها إلى نحو نصف قرن من الزمان . وليس من الجديد  
في شيء أن نسمع بأن هذه البلاد ما تزال تطالب إلى الآن  
بالحياة النيابية ، وإذا كانت قد مرت عليها خمسون سنة

## تطور الكائنات الحية واتجاهه

الدرج الهدف إذاً أدام الكائنات الحية مزدوج :  
الحفاظة على حياة الفرد والمحافظة على نسله ، وتأمين  
درجة رفي كائن ما يشا بعده من نجاح في هذا القرن  
يستمره

وقد سلكت الكائنات الحية كاهلاً في تطورها طريقاً  
واسع الدائم ، فارتقت من غلبة بسيطة كالأميبات قوم بمزجها  
بكل مهمات الحياة الضرورية ، مستفلة من غير هذا استقلالاً  
كاداً ، إلى ثلاثيات معقدة كل التخليد تتكون من عدد من  
أطراف لا يحصى ، ترتبط كل واحدة منها بباقي الجسم  
ارتباطاً وثيقاً لا يلجم سوى الموت مجها ، ولكل واحدة  
منها وظيفة خاصة لا تشاها ، فمستقيم إنشائية ، وبسببها  
التنفس ، وبسببها للتواصل ، إلى غير ذلك ، كما تتسلط  
على حياة الجماعة من الخلايا ، هي المجموعة الجسمية  
مهيمنة أحياناً والتسعين بين خلايا الجسم المختلفة.

والجسم في عالم الحيوان والنبات يتحقق إذاً بأن  
الخلايا هي الكو ، وتتعدد واحدة ، ثم تتكون هذه  
الخلايا ذات لها شها ، تتعدد من ، ثم تتعدد فدادها إلى إزادة  
من كوة يتولى تعريض الأمور التي تتعلق بمسألة الفرد  
الغلبا في شها ، فتمثل على ساطع دوائه ، وعلى الإكث  
من نومه

تدكان تطور الأقسام هذا هو الظاهر الوحيد لتطور  
وارتقاء الكائنات الحية ولتجاذبها في علاقتها مع بيئها  
وهو أ طريقة ، ثم سلكت الطبيعة طريقاً إنشائياً ، فظهرت  
في ضمن الكائنات حيزية جديدة ، هي القررة الانشائية ،  
وأحداث الكائنات التي من فوج واحد تتعدون فيما بينها  
أماناً ، الجماعة بعد أن كان الفرد يمثل أصلهته الذاتية فقط  
مستفلة من غيره استقلالاً بكام يكون ناداً

وقد بلغ من ارتقاء هذه القررة عند بعض الأنواع  
أن ظلمت حياة الجماعة للعلاها هجوماً فتنفصع بعض  
الأفراد لأداء مهمات خاصة - كما تخصصت خلايا الجسم

1 | بتطور العالم الانساني اليهود ، ولا شك ، عبر  
الاشتراكية ، وقد زادت الحرب والمصارعة من سرعة  
تطوره في هذا الاتجاه ؛ فهي من نروم لهذا التطور ؛ وهي  
أسبابه ، ومن يقضي أخاهاه لائق مع الانشائات التي  
سلكتها الكائنات الحية في تطورها في اليوم ؛ ففأشئت  
لا تفر من الحياة مليها لما أريد أن تكون مكررة هذا  
صحة من فية هذه التطورات الجديدة ، فطلب إذاً من  
الفرد أن يلقى الضوء على هذا كل الحياة .....

الحياة عدوانها الحركة والتطور ، أما السكون فمن  
شبح الحياة ، تلك مدة السكون من يوم أن ظهرت الحياة  
في المادة ، وقد كان داروين أول من أضحى فاشي شكا  
لذلك على وجود التطور ، وحين اتجهت دعوته إلى الحياة  
فالكائنات الحية كاهلاً ، من حيوان إلى إنسان ،  
مستمر ، وما وقت أن جاءت الحيايات بمرحلي يقضي على  
إنشائها ؛ فمكن الطاقوت وأصبح هذا سبباً في سرعة التطور  
وميل الرق ؛ فأعقروها من الأيدي ذات الخلايا الواحد التي  
لم تتطور بعد أو تطورت تطوراً يمكن إلفاقه - وأزادها  
هو الإنسان ذو العقل الجبار الذي وصل في تطوره إلى  
أعلى رتبة بلغها كائن ما على يومنا هذا .

أما الفرض من هذا التطور ، فهو بقوة الكائن  
الحى في كفاهاه الشمر ضد البيئة ؛ فهو يسر الحصول  
منها على ما يلزمه لحياة وحيدة له من بيته ، وهو اندى  
من جانبها للبعد من حياة ومنعه من التواصل ؛ ولا سبيل  
إلى توفيقه في سبب هذا إلا إذا تطور وارتقى ، فإذا نشأ  
لذلك قدرة على مجابهة بيته . أما إذا بقي على حاله ، أو  
تطور تطوراً لا يكفي ، فالبيئة التي لا ترسم لاند متغيرة  
عليه فتدوجه إلى الصير الخوف ، فيسوت الفرد ومقرض



تظهر في المقام كان حديد هو الإنسان ، يتشأن من غيره من الكائنات بأنه يفكر ، ولا يهتد في هذا المقام أنف له في عقل يعجز عن فهم ما هي الفكرة وطريقة ظهوره وهل يختلف ، أو غير يختلف ، عقل الإنسان من إحصاء الحيوان ، إلى غير ذلك من البافطات التي لا تأمل وراءها والتي لا تنبع من واقع الأمر شيئاً . إنما الواقع هو أن الإنسان ، عالة من عقل مفكر ، قد ينجح إلى حد كبير في كفايته عند يده ، وأصبح له الآن ملكا سلطان عجيب وأصبح في مقدوره هو أن يدير فيها ويدخل بعد أن كانت هي التي تتحكم في الكائنات كلها ، فتجبرها على التطور بخلافتها وخلافاً لما قد يجره الجود من موت وانقراض . فتنسلط الإنسان على البحر والجو واليابسة ، ويضع الحيوان والنبات لخدمته ، ويستخرج الجواهر الخفية ، ولا يرفع الفضل في حاجة هذا إلى سبي الفرد ، ولا إلى الضيق من ضرورة العناية الجملة ، بل إلى فكره العبد من ذلك الفرد قوة تلبية تعمل دائماً على إزدياد الدافئ بين الأفراد ، ومن فقد نظم الإدارة عند الجماعة ، بعد أن كانت الفردية عند باقي الكائنات هيبة قائمة لا تخبر ، وتنظم أفراد الجنس البشري في جماعات صغيرة . كما تنظم غيرهم من الكائنات في عسلية الخمل والنحل قبل ذلك . وأصبح الأفراد يعملون لصالح الجماعة لا لأنفسهم الذاتية فقط ، كما أصبحت الجماعة تشمل أصابع كل فرد مكون لها ، وشأن التخصص في الأعمال ؛ فقد كان الفرد قبل ذلك يقوم بمفرده بكل الأعمال التي تتطلبها حياته ، أما بعد النظام في جماعة فتخصص كل في عمل لا يأتي سواه ، فوجه بعضهم إلى الحصول على الطعام وبعضهم إلى إعداده وكسبه غيرهم يبحث عن مأوى ، وغيرهم يقدح عن الجماعة إلى غير ذلك .

كانت تلك المجتمعات أول الأمر صغيرة ثم أخذت تكبر شيئاً فشيئاً ، فتطورت الجماعة من عالة إلى قبيلة ،

الواحد قبل ذلك . وأسست القيادة إلى فرد - كما أسست خلايا الجسم ، قيادتها إلى المجموعة العصبية - وأصبح للشكل في العمل ، مثلاً ، الكفة اليدوية في المجتمع ، كما أصبحت حاجيات الأفراد في مثل هذه الجماعات تسمى بعضها باسمه الخاص ، وبعضها باسم الجماعة .

استمر الفرد الاجتماعي لا يتطور في النوع الواحد ، فلا تتفرق العلة بين الأفراد ، ولا تتعدد نظم الجماعة ، فأسس العارن نشأة ، والنظم النشأة في المجتمع جملة فقد طالت في فردية ، والفرد لا يتغير . فالحل والحل مثلاً - وفيها الفردية الاجتماعية على أنواعها وأرقاها - لا تتغير كثيراً أو قليلاً في نظم العارن أو درجة التعبد من أومقدار نسبة الإدراك - لكنها قد تتغير وتغير واحدة أما بين الأنواع وبعضها ، فقد تطورت الفردية الاجتماعية قوة ومعنى ، فظهرت بعض الأنواع ومنها الفردية ضوئية جداً كالاشية والذئب مثلاً ، فظهرت فيها نوع من الجماعة هو اجتماعها في فطانت تشترك في حاجتها من سبي في أو في الهجوم على الفريسة . أما في النحل والحمل ، فالفردية فيها ، كما أسلفت ، رابطة قوية تشمل مرافق الحياة كلها .

لقد ارتقت الكائنات إذ كوّلت ذاتها في كفايتها عند الشيعة بطريقتين : لارتقاء الفرد أولاً ، وارتقاء العلاقات بين الأفراد ثانياً . فمما عن الفارعة الأولى فهي متبعة في كل نوع وفي كل فرد . وأما الفارعة الثانية ، فهي مقصورة على بعض الأنواع دون غيرها ، فهي الكائنات ما لا ضرورة اجتماعية له البتة ، ولا يشترط أن يبلغ الفرد في التطور الاجتماعي نفس الرتبة التي يبلغها في التطور الجنسي ، فقد يكون أرق في اعتماد اجتماع ، فالحمل مثلاً أقل رتبة في تكوينه الجنسي من الثانية ، لكنه أرق منها عا لبقاس في تنظيمه الاجتماعي .

فقط الطبيعة بعد ذلك في تطورها خطوات جديدة ،

## كتابان في الأحكام السلطانية فأيهما الأصل ؟

أولاً ، إلا أن السيرة وما يخص شعب المؤلفين ، مصنف السارودي عن الأحكام التي يذكرها ما يتعلق بشعب الشامي ، وأبو يعلى بما يتعلق بشعب الحسلي ، أما الأصول التي يقدم عليها البحث في كلا الكتابين ، وكذلك الآثار وتقسيم الأبحاث فهي متجانسة في الاثنين .

وأول ما يقدر إلى ذهن الشيع في مثل هذا الوقت التساؤل : أترى أحد المؤلفين عن الآخر في تصديقه أم اعتمد كلاهما على مصدر آخر مجهول لمجاله ؟ ومن الطبيعي أن هذا يؤدي بنا إلى البحث عن السابق في المؤلفين ومذاق المؤلف صاحبه عليه . ولا غرو فإن سؤالاً كهذا يتطلب دراسة عميقة الشكل من المؤلفين . ولا سيما ما يتعلق بحاجتها ومزاجها العلمية وأزمها الفكرية ، ومن ثم الطل في بعض الجوانب الأخرى ، إلى وجود بعض ملامح مشتركة الكتابين من حيث الأسلوب والآراء . وعندها يمكن الوصول إلى

بين هذين الكتابين في موضوع الأحكام السلطانية . أحدهما لأبي الحسن علي بن محمد السارودي الشامي ، والآخر لأبي جلال محمد بن الحسين الفراء الحسلي ، وقد طبع الأول طبعته الأولى سنة ١٨٥٣<sup>(١)</sup> والثاني سنة ١٩٣٨<sup>(٢)</sup> . ومن يقرأ هذين الكتابين يرى تقارباً عبقرياً وملائمة قوية بينهما في نواحي تدعو إلى التنبه . لأنهما بحثان في موضوع واحد هو ( السيادة الشرعية ) ويتناولان أيضاً مشائبة ويحلان مشاكل واحدة ، ويتقاربان في زمن ظهورهما ، لأن المؤلفين معاصرون لنفسهما - القرن الثامن الهجري - وهما يؤولان إلى الحقبة وواقع عصرى . موقف الجدية والتجديد تقارب عبارات الكتابين والمؤلفين

(١) طبعة الفراء - R. Angier - في بيروت ، ١٩٥٣ - ١٤٣٤ هـ .  
المطبعة

(٢) وقد طبع في حلة أبي الخير وأولاده مصر ، سنة ١٩٣٨ هـ ، وصحبه عنه الفراء .

التعاون بين الأفراد ، والتخصص في الأعمال ، وتعدى على توسيع سلطة الحكومات وتوضي بأن معنى الفرد عناصره الخاصة في سبيل مصلحة المجتمع كنه ، أما الثانية فتقول ببقاء الفرد حراً لا يتخضع للخدمة إلا في القليل . فتوضي بالانفصال بين سلطة الحكومات وتكليف حرية الفرد على مصلحة الجماعة . وقد انقسم الناس في كل بلد إلى فريقين يشددان التنازع والتناحر بينهما : يتبع الأولون بأهل المال ، ويسمى الآخرون بأهل الدين . وتترك الحكومات من هذا النزاع بين أهل المال وأهل الدين وتأثير الحرب فيه ، إلى فرقة أخرى

دكتور سليم حبيب دوس

إلى قرية أو مدينة ، إلى دولة تقوم في مدينة واحدة كدول الانجليز مثلاً ، إلى دولة تشمل ممناً كثيرة كدول أوروبا الحالية ، إلى الأديراتورية الواسعة التي لا تترك الشعب عنها ، وقد أصبحت الإبداء الزكزية في كل مجتمع إلى حكومة لها السكسة الأخيرة في مسأله ، معنى حتى تدبر دقة شئونه وتوجه سياسته ، وهي التي تعمل على حفظ النظام داخل المجتمع . وقد انعقدت نظم هذه الحكومات على الأنعام ، وازدادت الصراخ بين الأفراد ونوع ، كما ازدادت درجة التخصص في الأعمال ، وأصبحت الحكومات تهتم على نواح متزايدة من نواحي نشاط الفرد ، وأصبحت في العالم نظم ثلاث ، تقول اسمها زيادة

ومعجم الأدياء، والكامل في التاريخ، والشعوب، وملفات  
السياسة، وغيرها...، والتي يدرس ما بعد، عنه في هذه  
الكتب، وأما الذي في أنه توفي سنة ١٥٥٠ فحجة وله من  
المعروف ما يتجاوز سنة، وهذا معناه أنه عاش عند منتصف  
القرن الرابع حتى منتصف القرن الخامس الهجرية. وقد كان  
هذا العصر عصر انحلال سياسي في الدولة الإسلامية،  
قد تجرأت السلطنة إلى دول صغيرة، ولم يبق فيه الخلافة  
غير بغداد وأعمالها. وكان منصب الخلافة نفسه الدولة  
يد القواد من الترك والذين الذين أصبحوا يسمون  
وبخامون الخفا، فليسوا أربابهم وتقديراً لرجالهم الخاصة  
ليس لهم. على أن شجراً لسيادة الخليفة بغداد - كما يقول  
متر - لا يزال، مثلاً في أذهان الناس، فكان الملوك  
والأمراء المتصلون عنه يعترفون له بالسيادة ويخضعون  
باسمه ويرسلون إليه الهدايا، بخلاف بقية الخلفاء من  
ألقابهم منه.

ومما يدعو إلى الاستغراب حقاً أن تكون هذه هي  
الدور في السياسة من أخص العصر الإسلامي في الأندلس  
التي هي من علوم وأدب وفنون. ولكن هذا الاستغراب  
يقلد بول: إذا ما نظرنا إلى الأسس التي وضعتها الخلفاء  
المبانيون الآخرون أمثال المنصور والرشيد والمأمون،  
فوصلوا إلى أوج مرعاها السياسي واستقرارها الداخلي.  
ثم يجب ألا ننسى أن الملوك والأمراء الذين انفصلوا عن  
سائر الخلافة كانوا يتفانون في تكميد العلوم والأدب  
وتقريب العلماء، وتشجيعهم، وأول في هذا ما يفسر لنا  
ظهور الفلاسفة والأدباء والعلماء والمحدثين الذين استوفوا  
هذا العصر. وكان المازدي ممن عظمى بلصيص وأمر من  
هذا التشجيع، فقد كان يقرأ من الخلفاء الدينيين،  
بإذالة ما يذكر، أن الأثر في حياته سنة ١٥٥٠ من كتابه  
«الكامل» قال: «وأرسل إلي القائم بأمر الله فأنشئ القضاة  
أبا الحسن المازدي إلى ذلك أن كان جديراً بأمره عليه البركة

ويخط له في بلاده فأجاب وأبغ وخلف له في بلاده  
وأرسل إليه هدايا جليلة وأموالاً كثيرة»<sup>(١)</sup>. وما يذكره  
صاحب معجم الأدياء من أنه «كان ذا منزلة من ملوك  
بني بويه رسولاً في التوسعات بينهم وبين من يناديهم  
ويرضون بوساطته ويقفون على رؤاه»<sup>(٢)</sup>. والذي لا شك  
فيه أن هذا عماداً على سيم مؤلفه، واتصاله بالسياسة  
السياسية لمصر، اتصالاً مباشراً، وقد شغف المازدي  
كتاباً عديدة في الفقه والتفسير والوساطة الشرعية، مما  
كتابته «الأحكام السلطانية» التي نحن بصدد البحث  
فيه. وقد أنهى اتصالاً لأمر من يجب طاعته عليه، كما  
يقول في مقدمته<sup>(٣)</sup>. وله كتاب آخر في نفس الموضوع  
هو «قوانين الوزارة»<sup>(٤)</sup>. والذي يفتن الدراسة في  
التصانيف يحزم بسمة اطلاع المازدي وحرارة قلبه،  
ولا يجب بعد ذلك من مكره البطل العائد الذي ترواه  
في عصره حتى إنه إلى القضاء بغداد، ولقب بأفندي  
القضاء<sup>(٥)</sup>. وأن الكتب التي ترجم له وأتمه  
مؤلفاته، ذكر الكتاب «الأحكام السلطانية» فيها.  
كما وأن كتاباً قديمة نالت عن هذا الكتاب، فقد طبع  
لجنة تذكار «كتاب» الإنكليزية في سنة ١٩٣٧ كتاباً

(١) راجع - ابن الأثير: تاريخ الكامل (طبعة مصر) ج: ١ ص: ١٥٥.

(٢) راجع - بالوت الروي: إرشاد الأريب إلى معرفة  
الأدب، طبعة - س: إريحيوت، مطبعة عيسى بمصر - المطبعة  
الثانية ١٩٢٨ ج: ١ ص: ١٠٧. راجع أيضاً: ابن  
المزني: المثلثة في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف  
التيار بمصر سنة ١٩٣٦ ج: ١ ص: ١١٣ و ١١٦.

(٣) راجع - نسخة الكتاب المذكور (مطبعة السعادة  
بمصر سنة ١٩٠٩) ص: ٢.

(٤) وقد طبع لأول مرة طبع المطبعة مكتبة الخانقي بمطبعة  
دار العلوم سنة ١٩٢٩ باسم «أدب الوزير» - المطبعة الخاصة  
من سلك الرسائل النادرة.

(٥) راجع: بالوت: المعجم السابق، ص: ٥٧.



صنف ما يروى على السبعين كتاباً أكثره في علوم القرآن وتفسيره ، وفي الفقه والأحكام الشرعية ، وهذه الترجمة التي وضعها عنه ابنه تقياً على سبيل مؤلفه في عصره ، وأنه كان من أشعة العلم وعبادة مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وقد مكثه عالية عند الأطفال ، وله تأثير عظيم في نفوس الناس ، وقد درس ونمّج عليه علماء كثيرين<sup>(١)</sup> .

ولكننا إلى جانب هذا لا نجد عنه شيئاً في كتب التاريخ والتراجم الأخرى إلا التور اليسير في بعضها .

والطبيب البغدادي وهو من معاصريه — توفى بالطبيب سنة ٤٦٣ هـ — لا يذكر عنه غير شيء . يسير استدل منه على أنه « كان أحد العلماء الخائبة وله تصانيف على مذهب أحمد بن حنبل وآله درس وألقى سنتين كثيرة . . . »<sup>(٢)</sup> وفي الخطر في الحكم بحرهم دار الخلافة<sup>(٣)</sup> ، كما أن صاحب كتاب « الكامل في التاريخ » عنه بهذه في

سيرته سنة ٤٦٣ هـ ، يشير إلى أنه « قد توفى في شهر رمضان من سنة ٤٦٣ هـ في داره التي في بغداد » . وذكر في قضاء الخرمين ببغداد بطار الخلافة وهو مصنف كتب الصفات<sup>(٤)</sup> . (ابن ابن الجوزي يشير إليه في كتابه « المتظم في تاريخ الملوك والأمم » ، « مناقب الإمام أحمد بن حنبل » ، « لا يخرج من ذلك »<sup>(٥)</sup> ، أما بقية كتب التراجم فقلنا لا نشير إليه لشيء أجد . ومن التواريخ

(١) راجع — أبو الحسن محمد بن النعمان أبو علي الخليل : طبقات الحنابلة ( مطبعة الاستعانة — بيروت - ١٩٦٥ ) ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) راجع — أبو بكر أحمد بن علي الطبيب البغدادي تاريخ بغداد ( مطبعة السعادة بدمشق سنة ١٩٣٦ ) ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) راجع — ابن الأثير : المعجم السابق ج ١ ص ٩٠ .

(٤) راجع — ابن الجوزي : (١) المصدر السابق ج ١ ص ٩٤ - ٩٥ . (٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ( مطبعة السعادة بدمشق سنة ١٩٣٠ ) ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

في الحسبة اسمه « مقام القرية » لأن الأسماء القرية بضمية الأسماء « وروى لي » أحد أساتذة جامعة كبير دج ، وقد أشار الأستاذ لي في المقدمة التي وضعها للكتاب إلى أنه وجد لها كثيراً في فصول كثيرة بين كتاب ابن الأختونة المذكور — المتوفى سنة ٧٢٩ هـ — وكتاب « نهاية الرتبة في طب الحسبة » لابن السام ، وكتاب « نهاية الرتبة في طب الحسبة » للشيرازي — المتوفى سنة ٥٨٩ هـ — ولقد كان فهو يتناول : على افتدعت هذه الكتب الثلاثة على مصدر واحد ، أم أن « مقام القرية » قد بنى على أحد الاثنين الآخرين أو هو أصل حسب رأيه لا يمكن التيقن فيه إلا بعد البحث والتدقيق<sup>(١)</sup> ، ولكن الأستاذ أحمد سامح الشاذلي أقرى لاجواب على تساؤل الأستاذ لي ، إذ أثبت أن ابن الأختونة قد نقل عن كتابه في موضوع الحسبة من كتاب الأحكام الشرعية للشاردي

حرفاً بحرف ، وأنه نسب بعض ما نقله إلى الشاذلي ، ونسب البعض الآخر ، ولذلك فهو ممنوع . . . . .

أما أبو علي فلا رغب من البحث على أن أثره على ترجمة واقعية له فلا ما جاء في كتاب ابنه « طبقات الحسبة » .

ومن يقرأ تاريخ حياته كما كانت في هذا الكتاب يراه أنه كان معاصراً للشاردي . وقد ولد سنة ٣٨٠ هـ وتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وقد قضى شطراً كبيراً من حياته ببغداد حيث كان للشاردي ، وولى القضاء في خرمين دار الخلافة في عهد الخليفة القائم بأمر الله . وأنه كان إمام الحسبة في هذه عارفاً بالقرآن وعلومه وفادئ الحديث والبغداد ، وقد

(١) راجع — الأستاذة التي وضعها بالانكليزية الأستاذ وروى لي للكتاب المذكور ( مطبعة دار الفنون بدمشق سنة ١٩٣٧ ) .

(٢) راجع — مجلة التفاهة [ العدد السابع ] ١٤ فبراير سنة ١٩٣٧ .

أن يقوم ذكر في كتابه « إرشاد الأرب » جازاً  
لشئ منه ، إلا صرح ، أن أيّ دليل لم يكن كما يدعي إليه  
مؤثره ، بل أقول : أنا كاتبه ، إذ يقول : « عدم التأثر بالله  
إلى أربعة من أمة المسلمين في ألبانيا في المذهب الأرثوذكس أن  
يصنف كل واحد منهم مختصراً على نفسه ، فصف له  
المساوردي - الإنصاف - وصف له أو الحسن الدوري  
مختصراً المروي على يدك في حقيقته ، وصف له القاضي  
أو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد السلام مختصراً آخر  
ولا أخرى من صف له في مذهب أحمد <sup>(١)</sup> . » فلو كان  
أو بلي إمام لطاية ، كما كان مؤلفاً لأخوة مذهبهم ، لم صرح  
بكتاب مختصراً في مذهبهم <sup>(٢)</sup> ، وليس من الممكن  
أن يكون هو واضع الكتاب الذي أشار إليه المؤلف ولم  
يعرفه وأصعب ، إذ أن شهرته في بلادنا إلى أن  
ومؤثره في مذهب الإمام أحمد إلى يدركها الأكراد ،  
شكفي لأن يعرفه المؤلف وغيره .

وأقرب من ذلك أن مالو الماروني الإمام أحمد  
لصنف البحث في علمات مواضع التأليف الإجمالية  
وشخصياته ، وأجشفت ألا تترك شيئاً مهماً دون أن  
تتخير إليه ، وأما خاتمة من الإشارة إلى أبي بلي ، فإننا  
المتشوق (Guldistan) الذي هو الأصل الخاص بها  
من الإمام أحمد بن حنبل ومذهبه يدرك في آخر بحثه  
خلاصة عن كل الأئمة الذين جازوا بعد الإمام أحمد وكانوا  
زعماء هذا المذهب ، فيذكر أبا القاسم هو الطرمي الذي  
مات سنة ٣٣٤ هـ ، وعبد العزيز بن جعفر الشافعي سنة ٣٦٣ هـ ،  
وأما المؤلف ، فمن من حنبل للثوري سنة ٥١٥ هـ في القرن  
أحمد بن حنبل للثوري سنة ٨٦٥ هـ <sup>(٣)</sup> ، ولا بد أن يكون  
١١١ راجع - الموت بالصدر فيكون ج : ١٠ : من ١٠٥ .  
١٢٦ من ثوري في سنة ١٢٦ هـ في سنة ١٢٦ هـ كان أبو بلي له  
جواز الأثرين سنة من مرقم .  
(٢) راجع - دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد ٣ ، موضوع :  
أحمد بن حنبل .

كتاب المذهب المذكور ، بل أنه لم يشير إليه بقليل أو  
كثير . ولعل مما يدعو إلى الاستغراب أيضاً أن أحد مؤلفي  
الأخوة ، وهو أبو الوفاء بن عقيل كان أحد تلامذة أبي بلي كما  
يدكره في طبقاته ، وكان يشرب الطوري في حياته سنة  
٥١٣ هـ في كتابه « التلخيص في تاريخ الملوك والأمم <sup>(١)</sup> » .  
لأنه أن هذا ما يدعو إلى الاستغراب ، وإن الآخر  
لا يخلو من وجهين ، فهو إما أنه كان يكتب مستمداً من  
من المصنفين لم يكتبوه عنه شيئاً ، فبذلك الحظ بعدهم ،  
ولما أنه لم يكن بهذه الدرجة من المثالية العلمية التي  
يشير إليها إليه في طبقاته . على أنه ما يصف الرقي الأول  
أن ابنه يدعي أن أبا كان مسلماً مجتهداً عند أقرانه ، وهذا  
ما يلازمه فيه غير من كتب عنه من الذين ذكروا ،  
والطبيعية أن الطوري ، فهم يكادون يتفقون على أنه كان  
مسلياً <sup>(٢)</sup> ، فبذلك له الأصحاب النورانيون .

والأصل هو ما كتب عنه على أنه ليس هناك  
إشارة إلى طائفة الأصحاب المالكية ، فبذلك الحظ بعدهم ،  
والأصل هو ما كتب عنه على أنه ليس هناك  
من هو يا ترى المؤلف الأثرين في كتابات المصنفين  
البحث فيه ، الماروني ، أم أو بلي ، أم أقدم الاثنان على  
مصدر واحد لا يعرفه ، ولكننا لا نزالنا بين مترجي  
المؤلفين وشهرتهم العلمية ، ولذا أمدنا بنظر الاختيار نواتر  
كتب التاريخ والتراجم على نسبة الكتاب إلى المساوردي  
وعدم ذكره بين مصنفات أبي بلي ، ثم إذا أخذنا إلى ذلك  
اقتباس من الكتاب من كتاب المساوردي وشخصياته ما كثرنا  
من اقتباس ابن الأخوة القرشي في كتابه معالم القرية ،  
كل هذه تخدعنا على أن الكتاب المساوردي باعتباره  
مؤلفاً مشهوراً ومن أوائل من طرق البحث في موضوع  
السياسة الشرعية ، ثم إن أسلوب هذا الكتاب وعرضه  
١١١ راجع - ابن أبي بلي : القدر السابق - من ٤٨٨ -

## مندل .. بائع الكتب

### قصة استيفان زفايج

تفلم من قهر خليل

دبت إلى خينا بعد رحلة في القوقاز ، وكان الظفر  
يشافظ عذراً قدالت إلى أخذ القاعى ولم أعم بقراءة  
اسم حين دخولى ، وما إلى جلت ، وشعرت باللف ، وأدركت  
بصرى في جوانب القاعى حتى خيل إلى أنى مارفت ذلك  
السكان من قبل ... منذ مدة خيل إلى أنها بعيدة .. وأن  
هناك في تلك المكان تحنى حلقة من حلقات خيالى كما  
يحتل السار - داغن الجبلية - واستملت قوة لوردي  
وحيثى وإذا بي نقاد أدرك زفايج ملازم رجل منجن ،  
بقية وذلك الفراغ بين أسنانه وإبداع تصكته ~~شكره~~  
واعتراأت شلانه ، وذلك الوجه الجسد للثقل الملامح  
به كذا تحك ، رأيت كل هذا وضوح ... ~~في ذلك~~  
كل كذا ، فإذا لي ذلك الرجل دولكر ~~سبح~~ ~~سبح~~ ~~سبح~~  
مازالت في احتياج إلى دعم قوى حتى أشعر بذلك القاعى  
مازدا ، حاولت ذلك بأن أحمض مبي حتى تنضج تلك  
الطماط العقلية العائمة ، ولكنى لم أستطع شرباً -  
فقضيت زوجتى أفدت وقد عجزت على الخروج والسكنى  
ما كنت أخطو حتى رأيت تلك الصورة القوسية تعود  
لأية إلى الأناضول في جيلاني ، وأدركت البصر حولى فوجدت  
للك المائدة الصغيرة المتطابقة القارئة من مكان (التاليون)  
وفي وضعة البرق تنضج لي كل شيء ... لقد أدركت على  
التو وقد اعتراقت شعور من السعادة والدفء ، أن هذا  
هو مكان يعقوب مندل يعقوب « الخلق » ... يا لى بعد  
عشرين عاماً أهو إلى حله المختار ، لا أدرك كيف أصبحت  
هذه الشخصية التى هي أقرب إلى شخصيات الأساطير ،  
هذه الأجيال الدليوية ، ذلك الرجل الذى ذلغ صوته في

الحامدة وبين لغة مخصوصة من البيئة للثقفة ، ذلك الساحر  
بائع الكتب ، الذى كان يجلس هنا يومياً ساد كذا ، من  
الصباح حتى المغرب ، وليلاً وانحطت المعرفة الثابتة ، يجلس  
على المائدة الرغامية وقد تكسرت عليها أكوام الكتب  
والقشرات البديرة والجلات ، يهدم حين يقرأ ، ويعزل  
بجسده نحو الأمام وإلى الخلف وهو يهر رأسه الأناضول  
ولا يشمر عما حوله أبداً ، فهو يقرأ كما يتعمد التصوفون ،  
ويشغل باله العالمون .

تعمى إليه زيل إلى الحامدة وكانت أكرس أعمال  
« مسر » وأحيانى البحث عن الرابع الخاصة به ، وقال  
مردى : « إن مندل يعرف كل شيء عن الكتب القديمة  
والحديثة ويساعدك ... إنه أنجوية » ، وتعتنا إليه في ذلك  
الغنى ، ولم يشمر سداً ، كان يقرأ ويهايل كماله ورقة في  
ميدان الأناضول ، وسكن رجلي قرع السائدة قوماً شديداً فإذا  
بمردى ، ثم عيساه من قبله وبرمنا ودعنا لاجلهم .  
ولم يبق لي سوى أن أفصح عنه السرى وكأله يجمع  
أقرباء الأناضول ، ذلك الحظوة واحدة ، وإذا به على التو  
وكأله يقرأ في فهرست مفتوح بعده حوالى ثلاثين كتاباً  
وبدكر وكان ياربخ أشرك كل منها وقته الجديد ، فتولاني  
الفتى نحو ذاكرته القزينة المطابقة للمادة ، إنه يعرف  
كل شيء ، عن كل كتاب ظهر ، وحواله وغنه ومكان  
عليه ، وهو يعرف الكتب التى ظهرت في كل علم أكثر  
مما يعرف منها الإخصابون فيه . وذلك كله بفضل ذاكرته  
الجارية الساحرة .

ولا يعرف تلك الشخصية الدجيبة شيد في العالم كله  
سوى الكتب ، فكل طواجر الوجوه لا تنفذ حقائق  
بالنسبة إليه إلا حين تتحول إلى حروف مطبوعة . وهو  
يحب مهنته هذه ويغال بسداً حتى أن أكبر فيه بعض  
عظماؤه ، فماذا كانت البادرة ، وبارك الحامدة أن تضحه إلى  
مكتبتها والسكنه بعض ، فهو لا شره الفناء ، وهو لا يفسح



بدكره . . . فقد مات وأنى ظر أن توث ذلك لرجل لك  
الهيئة النفاذية ، وصحبنا إلى مائة مدخل وجلسنا ، وهناك  
حدثني - كما نورت لي بعض المعلومات مدخل من  
جملتها أخرى - عن قصة مدغولة .

قلت : نعم كان بابي إلى هنا حين امتدأت الحرب (١٩١٥)  
وواصلت على الحضور ومما في يدي من كتابات ، وكان الكل  
يعتقد وبؤ كره أنه يجهل أخلاق جيب الحرب ولا يحسن  
بها ، خاصة وأنت تعرف أنه لم يقرأ مربية واحدة في حياته  
إلى أن كان يجهل بشكل كامل وروسة إلى كنهه ولا يحسن إلى  
غيره حوله . إلى أن جئت للقاصفة يوما فدخل حديثا  
في صباح أحد الأيام وقاد إلى الخارج ، ولم يدرك أمانة ،  
ومعنى ما كان على ذلك وهي لا تعرف سرا لهذا الاعتناء .  
ولكن عرجه فيها . . . كما يأتي .

لا غنى عن طلب الرعاية الحربية يوما بإفلاحة موجهة إلى  
البحر . . . وسرقة لصوص ، متدل يشكر فيها من  
عرجه . . . الأربعة من لشرة الكتب الفرنسية .  
الذين لم يملأوا الحس ، هذه الشخصيات يكتب رسالة من  
ألمانيا إلى فرنسا وبعضها في صندوق المخططات كأي شيء  
عادي . . . وكان المصدر لم يملأ بالأسلاك فلذلك ، وكان  
فرنسا وألمانيا والجمهورية لا يملأ بالأسلاك أمانها بعضهم  
سعدا يوميا . واغتر الأمر مورا لاسرة واحتفظا بالناطقة في  
عرج مكتبة . ولكن بعد أيام مرت عليه بظلمة أخرى  
مرسلة من نفس مدخل إلى كني آخر في لندن يسأله عن  
أعداد مجلة « ذا ألتار القديمة » وقد ذلها بمرور السنين  
وبعد ساعة كان يتوسط متدل مقبوسا عليه وهو يجيب  
لذلك . وعرجوا عليه البطاقة التي أقر بأنه هو الذي أرسلها ،  
أليس له الخبرة في أن يطلب ما يريد . وتوجب الضابط  
وبداوا يستجوبونه . . . وجير ذلك الاستجواب في أوله  
الشقاء لذلك الرجل المسكين ، إذ أصبح أنه من قرية شع

ولا ينام . . . وكل ما يقوله من طابع هو بعض الذين  
والطائر . . . وتمتدح لادخلته وهو عدل كثيرا بين  
بذنه ! إنه يقلب الصفحات في عناية ورث فالتن ، ولا  
يجب أن يشبه كائن سوى كتابه ، ويبدو بذلك كاتبه  
الناشد . مسؤله على كتاب فرح بسا دل المدخل في  
أمرنا جرة مدغولة ، وهذه المخططات التي يقضيها في  
الصلح الكتاب هي ليالي حبه الإلهاموية . ومفهوم  
الخط . هو مكانه الحام منذ ثلاثين عاما حين جاء إلى فرنسا  
من الشرق ليدرس حتى يشغل وظيفة في مكتب المخابرات ،  
ولكنه سرعان ما هجر تلك الدراسة وجدده الكتب فالحظ  
ذلك القوم على المختار . مدغولة بورا من السادة السادة  
والصفت صبا ولا يرحمه إلا بعد إطلاق الأتار في المساء .  
يجلس في مكانه ويقرأ كتيبه ولا يكلم أحدا . إن كل ما يلقى  
في ملازمين الجور والسوداء التي تكسبها عريانة الزمانية  
فلا يتعلمها . . . أما عابدا ذلك فقد لا يملأ الرسالة  
لذلك افترا لى شعور من الجور والظلمة على الأتار  
مأثرة عالية ، وقد ملأ هذا الرسل كيف يخص المختار  
العلم لمسكونه وكيف تكون هي التكرار الذي تدور عليه  
حياته أكثر مما تدور من النساء المخلصين . ومع ذلك  
هناك قد سبته ، فتدبرت بالهجر وصاحبه حب المستطاع  
من مكانه الآن . قدأت الساق ورتبه - وكلا جديدين  
عنه وأخراني بأنهما لا يعرفان أحدا بهذا الاسم ، وهجرت  
أنه لاذا ليس وهذا التيار الجارف يدفعنا أمانة في قوة  
إلى النهاية . ثم إذا أنا نفسي منسوبا . ولما سألت من صاحب  
القوم القديم فبقي أنه توفي بعد أن جاءه وليس هناك أحد  
من القوم - سوى طرسة المخططات السيرة سور قبل - فالتفت  
رؤيتها وأنا أؤكد أنه ما من أحد ينس شخصية مدخل .  
وجاءتني في مخططات بطيئة وشعرها الأبيض مشعث ، وما  
إلى سألها منه حتى لمت عريانا وهي ترمي بظلمة طويلة  
وتقول وهي تبكي : إنه من العجيب أن أحد أحدنا مازال

في المثقل المراسلات التي كانت تصله على مقياس «الحظ»  
من كبار شخصياته فيها . . . وسمح له الضابط حين عرف  
شخصية ذلك اليهودي القوي أن يرد عليها وبطلب موافقتهم  
في مساعدته في الإخراج منه وقد كان . . . تخرج من المثقل  
بعد أن قضى ما بين على أن يقدم حقه يومياً إلى مركز  
البرئيس . فكان عند ذلك . . .

وأصبح في إمكانه أن يعود إلى خريته وكشفه إلى  
دكتور الخبث في القوي . ولكنه حينئذ كان يدكر  
الرائد في الوقت متجراً رؤيته . فهو عزيز ضعيف يأس  
أحلاماً بالية . كلام بعد كما كان من قبل . لم يعد ذلك السجين  
الرائد في مكتب الجديدة والدفعة . وكل من رآه في تلك  
الفترة كان يعتقد أن هناك حيلة قد جاءت من خواصه .  
فمن كان يراه . وهو يراه . . . لم يتعلم في الحس ولا  
يدري كنهه عالياً . فهو مثقل القاذرة وكان محموداً شاملاً  
فما لم يكن في نفسه ناسه البالية خجبت ذكرواته السعيدة  
فما لم يكن في نفسه ناسه البالية خجبت ذكرواته السعيدة  
فما لم يكن في نفسه ناسه البالية خجبت ذكرواته السعيدة  
فما لم يكن في نفسه ناسه البالية خجبت ذكرواته السعيدة  
الآن ينظر إلى حملاته نظرة كئيبة ولا يدري كيف يهيم  
على أشتاتهم . بل هو يأس مأساؤه منه . فترجع عيانه  
إليهم في تساقول ذليل . عيانه قد انقلباً قاسماً .  
والناسم أركه في ذلك السجل ذي الأسلاك الشائكة مناظر  
فما لم يكن في نفسه ناسه البالية خجبت ذكرواته السعيدة  
الآن ينظر إلى حملاته نظرة كئيبة ولا يدري كيف يهيم  
على أشتاتهم . بل هو يأس مأساؤه منه . فترجع عيانه  
إليهم في تساقول ذليل . عيانه قد انقلباً قاسماً .  
والناسم أركه في ذلك السجل ذي الأسلاك الشائكة مناظر  
فما لم يكن في نفسه ناسه البالية خجبت ذكرواته السعيدة

يقتر به مقياس «الحظ» بل هو الآن وصحة دار فافهم  
جيبه . حيلة تكافؤ القوي النظر إليها .  
وهكذا كان شموه صاحب القوي الجديد الذي كان  
يشهر الفرص للشخص منه . ويزن ما كانت الفرصة بعد  
أن ما من مثقل من الفقر الدفع ما عانى . إذ تفرق حملاته  
وقد أتت أوراقه المالية إلى التصد فيمها . وأصبح عيانه

يعرب الحدود الروسية البولندية وأنه ليست لديه أوراق  
ثبت شخصيته وأنه ما زال رجلاً روسية ولم يتجلى  
بالمناوية بعد . وكانت مدخل ينظر نظرات ثائرة خلال  
عوياته وهو يعجب . . . لأنه لا يذقه شيئاً مما يخال . والفجر  
الضابط غامباً متجرباً . كيف يوجد في حاشية النما وفي  
منتصف الحرب في نهاية عام ١٩١٥ وحل روسي يدير في  
قلب المدينة هائلة مطمئن البال ويرسل الخطابات إلى فرنسا  
واعتبر ولا يجر الرئيس منه شيئاً . وبعد ذلك يتسلمون  
من حركات الجيش التي تنقل إلى روسيا بواسطة  
جواسيسها .

ولما سبق مدخل : لما لم يقدم نفسه على أنه أجنبي في  
أول فرصة آتت في راء غريبة وفي لحظة يهودية  
هادئة . فلما أشغل نفسه بذلك . وأجاب القوي حينئذ  
إن كان قد قرأ الفترات أو الجرائد . وبين يديه مدخل  
إلى السجن ثم نقل إلى أحد مسكنات القوي . وهو  
لا يعرف ما الذي سيقع به . . . في تلك الحيلة لا لم يجد  
حروب الأولى سوء تمام . . . بل وفيها كلها مفرقة والفترات  
دائم من مناهها . وحفظ لغزوات الكتب وأرقامها  
وأسمائها غيب . ولكنه حينئذ يردده من كنهه وذكرواته  
حاج وماج حتى سقطت عوياته فتعلم ذلك الجمهور الذي  
كان يسهل يدب العقل والوجدان . ولا يدري ما الذي  
عاشه في المثقل لدمعته . سعيداً عن كنهه ودياره . لا يدري  
أحد . . . ولكن أهل العالم قد شعر أخيراً أن من أطلع  
قطاع الحروب أن يوضع رجال مدبول أرواء قد تمدوا  
من الجديدة فراحل خاف أسلاك شائكة وهم الذين أصبحوا  
في تلك البلاد القريبة عن بالهم ذهرة محرم واعتبروها  
وطناً ثانياً لهم . فلم يسهل عليهم تركها في أزمات مثل هذه  
هاريين لارن وقد أصبحت موطنهم الروحي .

وكان من المتوقع أن عرض أو يمسبه الجنون لولا أن  
اشغل من هذه الوحدة في الوقت المناسب . إذ حولت إليه

الحدا : لا تخطي ولا تخطي بالكتاب فأن صدقنا الشيخ  
مثال ليعلم الضرر حين يعرف أن هناك على الأقل شخصاً  
واحداً من الآلاف الذين غنم بفضلهم طرائق بكثرة .

وخرجت وقد شعرت بحولي في نفسي إزاء علمه المولود  
المحور العائلي التي بقيت غليظة لمعظمي ذلك الرجل  
التيقن على طريقتي السهلة المدمجة الانسانية المباشرة . فمع  
أنها امرأة حاملة لا تقرأ ، ولكنها ما زالت عتقطة بكتابه  
ليكون من ذكرها له .

وهكذا . لقد نسيت مثقال لعدة سنوات . أنا الذي  
عليه أن يعرف أنا حقا هذا الكتاب ليصل أرواحنا وأرواح  
من يلجسوا ولقدافع بها عن ألسنة ضد أعدائ أعمدة الخيبة  
وعلم الفناء والفسيان .  
عيسى قمر خليل

بعض القهوة وقطع البطاطا ، ولا حظ رئيس الخدم أمث  
نحن مبيعات البطاطا لا تكتف مع الحسابات الجارية ، ومانت  
شكوكه حول منزل حتى ضيقه وبما هو يسترق الخلق إلى  
الطبخ ويسرق قطعتين ، فصاح فيه صاحب القوم وطرد  
وكان منزلنا وحش مضطرباً ، ثم ترك القهوي في دلة ومكنة  
وهدير . وقد غاضق لونه ، حتى إنه أسي معطلة ، وكان الجيو  
شديد البرودة ، وترك كتابه على مائدته من شدة خوفه .  
ولم نلاحظ : سيور شيل : الكتاب إلا بعد غروجه

فاحتفظت به . ولما سألتها عما حدث له بعد ذلك قالت وهي  
محتاجة البوالط : « مضت مدة طويلة لم أسمع عنه شيئاً  
خلالها ، ولكن حدث في صباح يوم من أيام فبراير في  
الساعة السابعة والنصف أن فوجئت بالباب مفتوح ومندل  
يدخل وهو يترجف في مشيته ، وما إن رأته حتى أقبلت  
أنه لا يعرف شيئاً ، وأنه كفى يسير في وجهه دون أن يشعر ،  
وأنه نسي كل شيء . عن البطاطا وصاحب القهوي . ولم يكن

هذا الأخير ولا رئيس الخدم قد حضر ليستأقروا . فاستأقروا  
لأنسجهم بدم الفناء فإذاهم بذلك . وقد قطع في رجلي  
وأسرع في حلي مضطربة نحو الباب . وكانت تلك  
مفتحاً عليه . وفي السماء كانت تتأثر بالباب وتوي . فصاح  
وقال العليل : إنه جاء إلى القهوي بتأثير الخي وهو لا يدري  
بالقهي . لقد كان في حق . بين الاثنين إذا ما لازم مائدة  
أمة ستمول الاثنين عاماً أصبحت هذه المائدة بمثابة دينة وكل  
شيء قدوة . أ وبقينا نتحدث عنه نحن الاثنين لعرف آخر  
حائلة من حياتنا . فهو ذو فضل أدنى علي . وهي قد  
جسمها به صلة الفكر طيلة هذه الفترة . وعاء قامت فأعطرت  
في المكتسبات الذي تركه . ولم أتمكن من أن أسمع  
الاستمالة التي أوتيت على شفتي . لأن القادر التي نام بنا  
ولم نخرج . فحطت القفل والمواظبة المعبية ، ولم يكن ذلك  
الكتاب سوى موسوعة من محم أدب الغرام والفزل ونشأه  
الصداقة أن يكون ذلك هو آخر أثر لذلك الساحر القائل يقع  
بين هاتين الودين القهوين اللتين اللتين اللتين اللتين لم  
تسكبا في كتاب . اللهم إلا كتاب الصلاة . ووجدتني أنقول

سورجور محمد

برسيفي اسمران

الغنائي

الحخالد

عقيل والحراج

برسيفي وهي

يعرض الآن

يتاح لم يسبق

له مثيل

٢٦

بسماء ستورجور محمد



# فجعة حلب

ب عالم مصري جليل

قدت حلب الشهادة في الأيام الأخيرة سيدة من عاداتها الأكارم ومثلها من عاداتها البارزين هو السيد محمد شرف الدين القزروق المصري الذي قضى ربع قرن بحلب يعلم دولته ويكتب ويترجم التلاميذ أحسن ترجم.

قدم رحمه الله إلى حلب سنة ١٩١٦ زارها فأعجبه بحسن مناخها وهدوء شبه القطر المصري فمرم على الإقامة فيها ، وما إن نشأت قدومه فيها حتى توافقت عليه أعيان البلدة ورجوعها وأدركوا أنها يقدمون من قبله وقصدت علاقات كان يعقدها بمنزلة بشارع السكة الجديدة حاليه للمعمر.

وقد صارت خلفه هذه عواطف حلب . كما كان كثير من أهل القبل يدمونه إلى منازلهم فيحلبهم أروع القلوب . لما كان عليه من فصاحة اللسان وسعة الإطلاع وحسن التعلق ، وما زالت صلة السيد القزروق والمصري تلت وأقربا تقوى حتى إذا مرز على الرحيل منها إلى بلد منموه ولحقوا في اختراع الخيل ليقائه بين ظهرانيهم حتى تتحقق لهم هذه الأمنية . حدثني رحمه الله قال لقد طرقت في بلاد الشام والمملكة العباسية بلاد الحما فأعجبت بالفرس وحلب أعجبتا عظمها ، وكنت كثيرا ما أمني النفس قضاء بقية العمر في إحدى هاتين البلدتين ولكني أتى لي هذا فأبى الأيام قاسية والحياة صعبة ، وما كل ما يتنى الفرد يتركه ، ثم جرت القادير بما أردت ، فلما أتممت في حلب العزوة وأرجو أن أفضى العمر فيها . وإن ما قبلته من أهلها من عطف وولاء وحب ورعاية قد أضاف مسقط رأسي ودياري .

بلاد العرب أوطاني . من الشام للبلدان  
ومن مصر إلى اليمن . إلى نجد فيقتلن  
صدق قال هذين البيتين لأصدقائي وإن بلاد العرب

من أفضاها إلى أفضاها من موطن وأرجو أن أمتع ناظري برؤيتها متحدة متفلة ، ذات سيادة وعزوة وكرامة ومهنة . هكذا قال لي السيد القزروق منذ أكثر من عشرين سنة . وهذا كان يشتر في كل حفل وفي كل تفرقة ، وليلة عاش إلى أبدا هذه حتى يرى بأم عينه بواكير هذه الموضة الحسنة إلى قلبه .

\*\*\*

كان السيد القزروق منجم الحسم ، طوله ١٨٠ ، مريض التكوين ، جميل الصورة ، أبيض شديدا البصرة ، واسع العينين ، راس المستبين ككل الفك ، يتبع منهما ، وكان حسن الحسم ، مختلطا بين لغة العبرية ، مؤدبا ، تسميت منه كلمة كاية ولا عرفت أنه غاصم أجداد . ولا أميا ، إلى أجداد ، وكان وراء ذلك كله جسد الصوت حسن المعرفة بالموسيقى والألحان فغناها وحديثها ، وكان حسن الترتيب أدبي الحسم ، حسن الأداء شيا به ويختار أفضل الألحان وأفضل الألحان ، وكان له أسلوب في الكلام الكافي أو الأسوء الناجم إلى عبرها من الألحان ، وكان ينطق أفضل الجاهلين وأدعهم . وأكلامهم من بيوت المبالغة البارسية ، وكان شديدا العناية بتجميل بيته ، يحد له أفضل الروايش وأجودها وأكثرها قيمة ، وكانت إذا دخلت بيته وجدت نفسك في مشقة منظر يضم أجمل النصف وأحسن الأكار ، وأخذت بك براعة الروعة والأصناف .

\*\*\*

حدثني رحمه الله أنه قد حضر سنة ١٨٧٩ وأنه تلقى العلم على شيخ الأكره فرجع في التربية وأدبها ، وعطف القرآن وعلمه ، والشرايح ، والحديث . وحدثني ذلك . ولما أتمت دروسه الدينية تقلبت نفسه إلى السكك والادب . من العلم فدخل إلى التسلطية وكانت في أوائل هذا القرن ، مركز الحركة العلمية في البلاد الإسلامية فدخل إليها وحمل دار الفنون وبرز فيها وأصل هناك وجالات العرب الذين كانوا يشغلون السياسة العربية كالحرم الشيوخ

ومدارسها الوطنية والأجنبية . فقد كان يرحل الطلبة  
البازغة الزمقة التي انغمس إلى حين التفكير وسداد الرأي  
أدباً عاماً ومصلحة حسنة وبنياً مشرفاً ، واستنهاذاً  
محسناً ، وصوتاً ساعراً .

\*\*\*

تلك هي الخطوط الرئيسية لجسده هذا السيد الجليل  
الذي كان الكوديق الرجل الصانع في عمله وخلقه وعلمه  
وسياسته . وقد كالت له مرأيا أنرى يجهلها الناس إلا من  
كان شديد الاتصال به ، ومن ذلك أعمال الإحسان والبر  
التي كان يقوم بها ، فقد كان ينفق أكثر موارده على  
الأيتام والأرامل والفقراء من الطلبة ، وكان كثير من  
أعيانه ذات بطوره الأموال الكبيرة يقوم بتوزيعها على  
أهلها . فاستحق من سائر الطلبة والطلبات الأيتام ، وقد  
كان له اليد المشكورة في تأسيس دار الصنائع النسائية  
والتعليمية التي كان يعمل فيها كثيراً من الزيات والفقيرات  
التي كان يهتم بها شخصياً . لا يهن بمعاونة السيدة العاتلة  
التي كانت تدارم لدرس التي منعت عنه عوناً عظيماً .

\*\*\*

أحسن الله إلى السيد الفاروق ما أحسن إلى  
ملك وأعلموا ، ورحمى الله مصر حياً على عهدها القيمة  
التي لن ينساها أهل حلب وشبابها .

الدكتور أحمد طلس

عضو المعهد الفرنسي بدمشق

عبد الحميد الزهراني والسيد عبد الرزاق الشكاوي ومهمي  
السيد محمد طابع طلس وغيرهم ، ولما انتهت الحرب العالمية  
النسائية بما انتهت إليه قصد سورية وأقام في حلب فأحببه  
أهلها ، وكان كما نرى على الرحيل إلى بلاده منه أصدقه  
الكثير والاميليه ومحبه ، ذلك أنهم هذا الزهراني السيد  
فؤاد الفارس ، والرحوم السيد بشارة الفارس ، والرحوم  
والذي السيد عبد الوهاب طلس والسيد توفيق طلس  
مدير المعارف العام في سورية وغيرهم ، وقد صار  
منزله في أواخر أيامه منتدى الجمع مجتمع فيه الرجال  
ويقاضون في مسائل العلم والأدب والسياسة ، وقد إليه  
الشبان فيتعلمون منه ما تعلمون من مسائل التاريخ والأدب  
والحصارة والسياسة ، ولا رأى الفرسوة تفسد ما كان  
ميدان عمله أوسع وأصدر جريدة « الباق » وأصدر لها  
قراءة عشر سنوات ، أوكيد الاتصال بوجهه ، فاجل إلى  
مكارم الأخلاق والأدب المجدية ، ثم توجه إلى  
التدريس في مدارس الحكومة ، وأصدر جريدة « الباق »  
وأخرج جريدة صالحة من الطلاب ، لا أتمنى أن يكون  
المعارف إلى إدارة مديرية التجارة مقامه جدير قيام ،  
ولكن الرضى في جسمه ظل يعمل على الإهم من شدة  
آلامه حتى بعد طيل له حملاً ، فترك حلب إلى بيروت حيث  
دخل المستشفى الأمريكي ولم يلبث هناك طويلاً حتى وافته  
منته قات مبكراً في قلبه وخلقه وأدبه .

\*\*\*

يكث الشهادتي الشجر المناسبي فبقدها وأثنته بحلة  
كبرى في عامة مدرسة التجويد الرحبية ، تلك فيها أصدؤه  
وتلاميذه عذروهم عنه . والرائية التي الكثير ، فخرج  
الله تلك النفس الطيبة التي ماتت شهيدة في سبيل الحق  
الأبلى ، وتكرار الشهادتي .

لقد فقدت حلب موت السيد الفاروق ، فادماً نرماً  
وخطياً مقوماً عرفته مدار حلب وجسدها وهما لها الحارة .



## بنيت الشيطان وقصص أخرى

بفلم الأستاذ محمود تيمور بك

شرح وتحليل بقلم الأستاذ صديق شيبوب

انصرف الأستاذ محمود بك تيمور منذ عشرين أو أكثر إلى تأليف القصص السحرية حتى أوفى ما كتبه منها على المسرح . ولكنه لم يجر من الأقصوصة التي يعتبر من أواضع أسسه وموضح نهجه . وقد طالعنا مقتطفين للمجموعة الجديدة من الأقاصيص التي نشرها بعنوان « بنيت الشيطان » وصدرها بحث في « أثر القصة في تربية الشعب » تناول فيه فن القصة من حيث قدرته على توجيه الشعب إلى نواح خاصة في الحياة .

وقد أساب حين قل في هذا البحث إن القصة من خير الوسائل لمداية النفوس وتعمدة ملكهم الانساني . ولكن كما أن سؤال : أليس من التخصيص في فن القصة أن نضاهي لأفكار من الهندية والاسلامية التي لم يرض الأستاذ تيمور لهذا السؤال في شكل مدح . ولكنه تناول مهمة القاص من ناحية التعمد الصادق في الإحساس الفنان في صمو . . . فقال : « إن القاص للوهوب بمسحة الزهف وبقطنة الحادة في الشعور وأفق الحاجات التي تسرى في المجتمع ، قدر على أن يقتصر على الميقن السكائر في وافية الجمهور فلا يثبت أن بينه ، فهو يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه فيترجم هذا التأثير — قول أن يحس به صوام — في عمل قصصه . . »

إن هذه النظريات الصحيحة في نفسها لا تجعل على الفن واجباً أدالياً بمعارض مع الحرية التي يجب أن تسود وأن يتمتع بها الفنان . لأن الصدق لا يستقيم إلا إذا دهمته الحرية .

ولعل بسوء موقف القاص المصري من الحياة الاجتماعية الراعية عوامل قد تحول دون تجليل هذه الحياة في فنه . أهمها الاضطراب الذي يساور حياة القاص النقيية وسط مختلف التيارات الأدبية والاجتماعية التي تتجاذبه . ولزعم

من هذا الاضطراب فإننا نلاحظ أن بعض القاصين — وفي طليعتهم الأستاذ محمود تيمور بك — استطاعوا أن يثقلوا بعض نواحي الحياة المصرية ، وأن يثقلوا إلى صميم الروح المصرية .

أما أقاصيص مجموعة بنيت الشيطان فهناك ، وهي جميعها تجعل طابع أدبي مؤلفها الفاضل : أنان في المرض واقتضاب في الوصف ، وتبسط في الأسلوب وحيث في بناء الحكاية . إلى غير ذلك من الزايا الأدبية التي يعرف بها أدب الأستاذ تيمور .

وأول أقصوصة تطالع القارئ في المجموعة هي « بنيت الشيطان » . وقد قبل في وصفها أنها « أسطورة » وهي من نوع القصص الفلسفي الذي يخرج بين التفكير البدائي والفن الحديث ، والذي يراد منه الكشف عن طبيعة الإنسان وخرائده . ومن علاقة هذه القرائر بتلك الطبيعة بحيث لا تنفصل عنها .

بنيت الشيطان فيه أن بنيت أنه « أهل أفر الشر » وتبعه حكاية « حاور إسماعيل لأمير الشر ولا الأمل » حيا في القصة لأفكار وفكر أصيل . . . ومن ثم يمكننا أن ينشئ على خرائرها عالمًا نموذجيًا لم تعلم بوجوده البشرية . ولوصول إلى هذه الغاية بنيت قصصاً مسجوراً وجاءت بطرفة في سامة ميلادها وأقام على خدمتها وتعليمها والناجياتها مهرة من الجن أوصاهم بما يحقق أغراضه ، فأثثوا حولها جوا من النبطة والصداف . وكانوا يفتنوها بدروس الحكمة وأدب الملوك وأصول الاجتماع وفق برنامج يبعد عنها الشر والإحساس بالألم . ولكن « زوجة » وكان أميراً مقاراً توسل إلى دخول القصر المسجور والتسلل إلى حديق « أراهير » ، وهو اسم الفتاة ، وتحدثت الفتاة إلى الأمير فقلت منه أشياء كانت تجهلها ، ثم جعلها ذات لية إلى عالمه . . . وفي القصة التالية أطلت من القصر هاربة إلى العالم الإنساني الذي لفته مرة . وهكذا تثلث طبيعة الإنسان عما فيها من فضول إلى العرفه ، ومن غرائز تدفع بصاحبها إلى الحياة الصاخبة . حياة تخرج فيها اللذة والألم



## بين المسموع والمقروء

محنة أمري

ما أحب الأقدار!

ثلاثة رجال يسطرون وادي الموت ، حيث تتقطع بهم  
أسياب الحياة ، فلا يكون لأحد منهم أمل في عودة وهم  
ياختون يضررون في مجاهل القتل أحد عشر نهاراً واحداً  
عشرة ليلة ، يدكروهم النهار والمساءة وضجوتها ، ويدكروهم  
الليل بالبور وطافتها ، ثم يقضى لهم آخر الأمر أن لا يبر  
هذا الوادي فيجوز إلى الحياة والأحياء مرة أخرى غير  
واحد منهم ، ليس بأقوام ، وليس بأكثرهم غرساً بنوالب  
الزمان ، ويجوز هذا الوادي ليحكم ما جرى ، وما يمكن  
أن يجري للأسيان عند ما يلقى الموت حرماً لا ضيق فيه  
كان الثلاثة في طائرة في ظلام الليل ، ولما صعدوا

فرغ وقود الطائرة على غير حساب فعمدوا إلى  
المحيط ، وهوت الطائرة تطلب البحر ، وحرقوا في  
أجدين في سداد الماء الذي حصل إليهم في ضوء مصابيحهم

والمرقة للجلد والحلب والنعش . . . نلت هذه الطيبة  
على حياة متفتلة تعاود تطير تلك القرائن والمسموع  
فوق طبيعة البشر وطافتهم .

ويطالع القارئ بعد « بنت الشيطان » أقاصيص  
أخرى ، فيها ما يحفز الخيال الرومانسي ، مثل « خمام »  
و « الجنان » و « ليلة العرس » و « ما يرمي صورة »  
أخلاقية تختلف بين الواقعية والوجدانية ، مثل « الترام  
رقم ٢ » أو « قصب ماء » و « لينة » . . . إلى غير ذلك مما  
يتبعه ظلام الجموعة ، وسيلان الطامع كذلك أياً قصصياً  
و فنياً ، وأسألوا فنياً طبعاً ، وروحاً إنسانية عالية ، ولما دج  
بشرة صميمة . ولا يجب غلب من الاستبداد بدمور يتجمع  
فيه كل هذه البعرات الحذرة بالإحجاب والحد والتناهد .

مصيرين كثيرين

أه هو الذي يقترب منهم ، لا أنهم يقربونه ، وطال زمان  
اقترايه نلت لهم المقتنى أنها سامات . وأغبروا وجدوا  
الطائرة تنحط على الماء المحاطة بأربعة غير عتيقة ، فلم  
تخرق لهم إلى قاع المحيط كما حسوا ، ولم ينجح لها أنف  
ولم ينكسر لها جناح .

وكان صاحب هذا المبوط الهارح ، طيار الطائرة  
الأول ، واسمه ولتم . وكان معه الطيار الثاني واسمه مادن .  
ولم يكن في الطائرة راكب غير رجل يدعى إزري ، كان  
في حياته قبل الحرب رجلاً من رجال المطلق .

ولم يكدهم بعد إلى الثلاثة وشدهم ، بعد تلك المصيبة  
الحائلة ، حتى استبان أولهم أن الماء أخذ يدخل إلى الطائرة  
من أنفها ويسيل إلى ركبتها . وعندها صاح : هيا نخرج  
من هنا يا صاحب .

ودفع الطائرة إلى قلب الطائرة برافنت فاجزى  
واكبرهم فقتلوا جميعاً ما فسدوا عليه من أدلة وطعام .  
وخرجوا من الطائرة وأطافوها فوق الماء ، وربطوها  
بالطائرة بحبل لا ينفك . وانتقلوا إلى الباعة والعدا  
بعد واحد ، فحسوا كأنهم مضيقوا . وزادها ضيقاً  
ما حلوا من عدة ومتاع .

وجعلوا همهم على أن يتشبثوا بدبل الطائرة ما أمكنهم  
فذلك . ولكن الدبل أمات من أيديهم لأصطراب البحر .  
ورموا بحبل اليه ، فأكاد يشبك بالدبل حتى انفلت .  
وأخرجوا من الماء ، فسلطوا من بعد انفلتوا ، وحاولوا  
بهما أن يتفروا من الطائرة لينتدوا عليها ، ولكن البحر  
ختمهم خساً فتلقا فيه محاق أيديهم إلى ما يملأ بطونهم .  
فقد ترك الذي ما في أمثلتهم زفا . موج عائل يسلفونه  
كسلسل النازل ، ثم يسلطون من بعد ، هبوطهم إلى الوديان ،  
وحسوا أن أمثلتهم قد ماتت حولهم تريد أن تخرج  
مع الطعام ، وأبدوا من الطائرة ، ولكن ظل يهددهم  
لها نور شديد ينتشر من مصباحها . ولجأة ذهب النور  
ذهاب الأرواح ، فوجوا جميعاً للمياه . ولم يندسوا بكلمة

كان بقية من ترشوط مرقوم ، يظهر أبيض في زرق الماء ،  
فيلت الطائفة ، ولكن لم يقدم ذلك إلا محسباً محسباً  
لمرأى هذا المارد المتبع عثره . فقد ظهر كغادي في  
التحلقه وعمراته . ودعت الطائفة ودعت معها أسلمهم  
ودعت خدة الحزل ، وحل محلة وقار الحذل ، فكان  
أشبه بوقر الساعة ، فأخذوا يدكرون الأهل  
والأصدقاء . وتساءلوا هل بلغ تسامهم بعد قدومهم لا قال  
ولم ، الطائر الأول ، إنه ترك أسلمت عنوان صديق له  
ليخبروه الخبر ، لأنه لم يأت إلا بعد ما رآه وجهه . وقالوا ترى  
رجل الطائر ، إنه قد كان يحسبوا أخيه قبل أنه ، لأنها  
تكون أكثر أميلاً ، وإذا بلغ الخبر أنه بعد ذلك  
كانت الأخت قريبة منها ، فأندب على التواصلة . وذكر  
ما قد ما كان قد أشد بعد الحرب من صكر ندى ماله في  
توكله ليعمل بالمر

وورد الحلو بعد الطائر ما كانوا أسلمهم ، وزاد الأكل  
حظهم من طيرهم . وكان تلك الحصة القليلة التي لا تروى  
الطائر إلى طائر ، زادوا قليلاً . وكان لهم أسلمهم  
فأقاموا أحدهم حارساً ، وباتم الآخرون في القاعات أسلمهم

ودخلوا في الليلة الثالثة . وفتح البحر فأخذ يعلم  
الطائفة فكانت كانت تظلمها يد حادثة ، ولم ينع هذا اثنين  
منهم من النوم . وفي الحارس يقظاً . واستيقظ الإنسان  
وهم في ماء البحر . وقد كانت النائمة قد أغلقت ثلاثهم  
عن ثغرات الأمواج . واستيقظوا وأرسلوا وأرسلهم تسع  
على غير وهي منهم في الماء . وأخذوا في الغلام يمدلون  
الطائفة ، طالت موجة أمانيهم على عطفها ، فذكروا لها .  
وصاح ولهم صيحة أفرقت صاحبها فذكروا بخنقة النساء .  
فقدروا أن يحملوا أولاً إلى العائقة . ثم أرسلوا إليها . وقد  
ثلاثهم ياتون كما تلت السكاب . ولأحت منهم العائقة  
إلى ما احتوت النائمة . فدفعت قلوبهم في بطونهم عند  
ما استقوا أنهم قدروا أكثر أسلمهم . حتى الطام  
قدوه إلا عليه من لحم . والماء في أكثره ، فقد كانوا  
يعطوه تحت القنادر . لسوا أن النائمة تغلب فلم يحتملوا

وقضوا تلك الليلة الأولى بشرقون الماء من عائتهم  
وهم يطلبون المباح ، يطلبون النور ، يطلبون رمز العيش  
وويل الحياة . ويطالبون الشمس لتجفيف ملابسهم .  
فقطع عليهم الصباح آخر الأسى شمس مريضة لا تدق .  
حسباً ولا تحلف نوما . وقضوا النهار يخلصون بالهيب من  
مؤونة ، فكانت بضعة من عكس بها الطعام ، وبضعة من  
أخرى بها الماء . ولم يكن منهم رغبة في الطعام . ثم أمسوا  
المطبخ فشرعوا ما أرادوا ، حسباناً أن الخلاص لابد آتيهم .  
والسجائر أشعلوها ، فالتسلطوا بعض الأساط . وأرادوا  
التشجيع ، فبدأ أقدمهم على الزبح ، أسلمهم لو أنهم خيروا  
أن تكون لهم على هذه النائمة صخرة ، فأتى النجوم  
يختارون . فاختار أولهم هيدى لاسار . واختار الآخر  
بني دافز . أما الثالث ، رجل الطائر ، فاختار قفلة من  
أرض صلبة يمتدنها اختصاناً

وقامت نفوسهم ، فتنوجهوا إلى الله يدعون . ولم يكونوا  
احتفظوا بالأدعية ، فآخروها . وكان لهم أسلمهم . وكان  
وجاءت الليلة الثانية . وكان لهم أسلمهم . وكان  
فأقاموا أحدهم حارساً ، وباتم الآخرون في القاعات أسلمهم  
وهي ليلة ، فأنحرك أحدهم حتى أيقظ صاحبه . وكان  
نوما مهوشا متقطعا

وأيقظ آخر الحراس صاحبه على ضوء جود حسيه  
منارة . وطل الثلاثة يصرخون ليقتلوا ما كان المنارة  
وحارسها . ولم يكن اندشهم من جواب . ومضى الزمن ،  
فاذا بالضوء يرتفع ، وإذاًه منارة من منارات السماء لا  
منارات الأرض . وإذا به نعيم أشرق ثم علا فأنخط  
بعده أول أهل لحم في النجاة

وأترفت فتمس هذا اليوم ، فقتلوا بينهم لحقت .  
وأعسوا الجوع ، فأقاموا أحدهم على تقسيم الطعام . وكان  
دوس ذلك في مدرسة خاصة . فالتصموا هذا اليوم نصف  
عليه من لحم وجبن . وظهرت لهم طائفة فصاموا بها .  
ولو حوا بكل ما وقعت عليه أسلمهم دون فائدة . وفي عز  
الساعة الأسود تراءى لطيارهم الثاني أن يقطع ثوب أبيض

وتواعدوا على التكفير إذا نحووا ، وما كانت إلا خطايا تحف  
في الميزان . وخرجهم الملائكة بالعلام أشد ما يكون ، و  
فقدوا بقية الماء ، واحتفلوا بشراهم احتفالا . وخرج  
الوعاء فتناوبوه مرة أخرى ، يملأون ما بقى من قطراته  
وجاء الليل وأعقبه النهار وهم يصيدون العلف النزر  
في الصافيح قطرات ، وزادت الأسماك اللينة على الأيام  
فراغا ، وزادت محولا . والشحن تفت وطالت . ولبثت فيهم  
مع ذلك غلبة من فكافة . قال أحدهم لأخيه : يا صاحب  
الفسادة ، ما أشبك في محوكت ولحيك بالسيح في محنته .  
واغلبت العائمة بهم في اليوم السادس ، وقد فهم أي  
تفريق . وبالغية الباقية من فوام أصاحوا الحبال وصعدوا  
إلى مرادهم من تلك الطائفة . وشرب ولهم من ماء البحر  
هذه المرة شرا أكثر . وكان أكثرهم ابتلاها تحت ثقل  
الزلة ، وأكثرهم نازا بها . ثم مضى وقت طويل حتى  
أشبه الحرف . فأخذ يعرف باللعب إلى التمثيل والمخرج  
إلى مذهب . فالتفت يدها وعرضا ، على غير المذهب في طبعه ،  
فماضى في طائفة العائمة لها فأخذ يقطعه بأغفاره . وأذنه  
فراحت في البية وظهوره فقام بقلب الخروج عن العائمة  
والشي فوق الماء . وحاول صاحب مسكينة فكسرت . وبقي  
العصر فغلبت العائمة من جديد . وبعد ولهم فيها عشرة من  
الأشجار . فودع صاحبها العائمة باجته ، وبحولان امتشاله  
وهو يغطين تارة ويظهر تارة . ورفاه إلى العائمة وهو  
مفتوح الفم . مفتوح البابين ولكن لا يرى شيئا .  
ولرفاه بينهما وبينهما وعطفا بينهما . وأراد أحدهما أن يمينه  
حتى يلقى ليس منه رجاء . وكان في جيبه أفراس من  
السلفايميد ، قدس منها فم ولهم : فما كان إلا أن مزح .  
لأن ولهم خمس إصممة طامنة أنها طعام  
وأخذ صاحبها يدعو له الدعوات . حتى إذا خيم  
الليل : أحسوا بيهضا فاجتدوه . واضفر وجهه ورد  
جلده ، ولم يح في أثر الحياة . وأخفى صاحبها أن لا يكون  
قد تمسك في صباه . ولم يعرفه مراد التعمد فابتدعها

لها . ولا تنهم الموج غسوته فلقوا على مفالته . يتلقون  
من طريق السابعة إلى طرف حتى لا تنقلب . ولكنكم  
أقبلت مرة أخرى . وعادوا ما يوافق تصحيحها وذكروها .  
وإذ نحووا على أطهرهم وقد قسبهم البرد واستدرف فودهم  
هذا المجد . ولكنكم ما لبثوا أن استقلوا خشية الخلالة  
أخرى سكروا في الأخيرة .

وطلع النهار الثالث فربكن في شحه غناه . ولا لهم  
فيه لتخفيف أنوارهم من رجاء . وعلب فيهم لتلوع  
فقدوا ما بقي من مفتوح الطعام ثلاثة أقسام بلعها الملح  
فيلدوا على أيدجها بامبا . وبتت من الطعام كله بقية .  
غاية مقفلة . ورفد ولهم عن أصيبه فلو حده على يلمه  
ليقوى . ورأوا فرش البحر لأول مرة ، ففكوا لاخر من  
وذا طول فأمروا وأغلف . وصبر أنه ذهب تحت الدائمة  
فقال لهم : ولكنكم ذهبن معهم بسلام . وصرت بهم في  
هذا النهار طائرهم وادوا بالصواريخ فأرهم . وخطوا في  
الليلة الرابعة . وكانت توقف ساعدهم بالأمس في وقت  
مما يصي دليلا . فقامت على صاحبها الأمسية . وكانت  
وكانت النجاة الثالثة مساء فحسبوا أقوى أو الثانية بعد  
أصت الليل . وموت منهم الساعات كلها الأشهر . وتبقى  
إلى الماء بحرقه من العائمة . وحل الحديت هذا كذا  
البدائق وطعامها وتراها وأفرشها الزهرة النابضة ، وذكر  
طقاء الحرائق أن في بيته في الزب وبدا نزل فيه العلف  
فيما هو ، فكان من أحسن لذاته أن ينفس فيه رأسه كقده .  
فصاح بهم بلان ، غيروا الحديث بالله فمدا صائرا إلى الحلوين .  
ومضى اليوم الرابع ومضت ليلة في رابعة قاتلة

وجاء اليوم الخامس . فظهرت لهم طائرة . ورموا  
في أعقابها الصواريخ فأرهم . وشربوا في صباح هذا  
اليوم . فلم يبق من زادهم غير شرية واحدة . وفقدوا  
آخر غلبة للطعام فأكلوا نصفها ، وأنى ولهم أن يأكل  
منها خشية التعش . والفجروا يتعدون عن ذنوب  
الحياة . فما أعرب ما الطافت الألسنة وانفتح القلوب



ابتداءً ، ورثا فوق وجهه الماء .

واعترم صاحبه أن يستقيح حلة صديقهما الراحل  
بينهما أطول زمن . فهما لما تكافى وسط العائمة . وصحبا  
زمانا . حتى شق أحدهما السكوت فتشربهما مجرى في  
خاطرهما . ليت تشربا كمن في من الأيام لتكون عكسا .  
وأصبح الصباح ، وجاء الطور فربما أن الوقت كان للمدى  
وبعد لا الرأى في ذلك . وهو الله أن يوفقهما فيها اعتراف .  
وبعد أن عيا الحلة حاولا عا على طبعهما من قوة أن  
يبرلاها إلى الماء .

وبقيت على الماء طافية ذقيرة ثم مالت فغطت ذوها  
بقيتها بالدفوات . وأطاب نفسهما أهما نظرا فترعا على  
سطح الماء . فرشا من قروش البحر بعت بيده الوديدة  
التي أودعها على المحيط

وفي الصباحان وسدجا . وألح عليهما المظلل . فقال  
أحدهما صاحبه إنه سمع أن الذي يخرج من البحر من ماء  
يجمع من العنقش إذا ما شربته . وقال الآخر إنه لا بد من  
عليه ليصلح شربا . وبعد نقاش . وألح على شرب  
اليول من غير إغلا . فشرياه . ولكنهما عابا أن يكون  
معدلا من شرباه

وانكفأت بهما العائمة مرة من بعد مرة . وكان قد  
حينما أن ذهبت صاحبهما سيحقت عنهما حجة إلى العائمة .  
ولكنهما قواهما هبقت فلم يكادان يحلان أجسامهما إلى العائمة  
إلا بالجهود الكبير

وسم أحدهما صغبرا . ولم يسمه صاحبه . وألح عليه  
الصغير حتى كاد يسمه صاحبه

وزاد حبهما تفرحا . وزادت أوجدهما انشاجا  
والجوع فلل بهما أقاميه . فحاولا صيد القروش في  
البحر . وبذلا لها كل طعام . فلم تشعب لطمعهما . لأنه لم  
يكن مما تأكل الأسماك . وخاطر على الماء أن يستما من  
جلود شفاهما للتشفقة لطمعا . ولكنك لا بلغ الماء . فنبال  
به . انقص من متنازه . وحاولا صيد السمك يدق رأسه  
باليداق . فبأفلقا . وأخيرا اقترعا إلى بعض ملابسهما .

ومن من . ولقد طسا بهما أن بها غذاء . فصدتم عنها  
سوء طمعها

والطش لوشغما . فحاول أحدهما شرب حرة من  
البحر . فصاح به صاحبه هذا ما فزع فاه بند امتلاؤه  
وجاءت اللبلة الملبرة فكانت أسوأ اللبالب . فلقد  
انقلبت بهما العائمة فيها مرات تلام . وربع الموج أحدهما .  
بلقيها المراقى . إلى السماء . فضا حط . حط في الماء .  
وركنهما عند اللبلة وقد حضا أهما الخفاضة . فقد تقلت  
عنونها باليوم . فلم يستطعا لها فتحا . وأل قليل من الطر  
لمتصلاهما . ولكن وقع المطرات على جفونهما كان  
يؤذي جفونهما لشد ما بهما من صدف

ثم زيد أحدهما انشاجا صغيره . وبأجد الآخر يسمع  
هذا الصغير . ويناقش انقصهما بعضا في هذا الصغير فلا  
يبدلان أحو ذقيرة أو خيال

وتبع طبعهما الخيلات . وتلجج الأحلام . وأكثروا  
من الماء والطعام

والذي لم يكن لهم الحظ . والعائمة فيه القرة الأخيرة  
وهم يملكون يمسكها التي في إياها . بعد أن طس أنه غير صاعده  
ويحاول أن يضع أخته . طمعا المرحب . إياها . ولكن  
الطعام على أنها محاولة فاشلة . فقال صاحبه ليست أقوى  
ولست تقوى . إلى داعه . وفي هذه الساعة طفت موجة  
وأصحت زأك العائمة . فلما ألح عليه بدق نواب . فطار .  
فأذا صاحبه ينطش في الماء كأنه لوح من صخر

وعندئذ ينطش هذا الشخاف عن صاحبه . بلطلع  
حيث هو . أكثره على العائمة . وأله في الماء . ثم تفرجه  
الأمواج حتى يدخل كاه رويدا رويدا إلى العائمة

ثم يستقيط . . . إمام الناس إياها الأخير من تدق .  
إياها سقيرة إياها ألقفت في الأمواج . فوؤلا قد أنقذوه  
ورويدا رويدا يعود إليه وعيد . فيتحكى القصة كلها  
والذي تحتره منها . كيف أن الله شاء له وحده البقاء .  
وشاء لصاحبه القناء . ولم يكن هو هذا الوئاد !

امر زكي